المبحث الأول
حياتــه وشعــره

مولد ونشأة جميل:

اسمه جميل بن عبد الله بن معمر، حسبما ورد في كثير من كتب النقد والأدب يُجعل عام مولده لكن في كتاب تاريخ الأدب العربي لعمر فروح ورد تحديــد لــزمن ميلاده حيث جاء (ولد جميل سنة ٤٠هـ (٦٦٠م) في وادي القرى شمال الحجاز على مقربة من المدينة ونشأ هناك).[١]

وشاعرنا جميل ينتمي إلى عذرة – القبيلة الشهيرة بالعفة والحب الطاهر وقبيلته عذرة تنسب إلى قضاعة بن معد كما جاء في كتاب الأغاني (هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان، وقيل بن معمر بن جن بن ظبيان والنســابون مختلفــون في قضاعة فمنهم من يزعم أن قضاعة بن معد هو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه وقــد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معديا فقال:

أنا جميل في السنام من معد *** في الأسرة الحصداء والعيص الأشد[٢]

وقد اشتهر جميل بن عبد الله بن معمر بجميل بثينة نسبة لمحبوبته بثينة، وبثينة هذه من قبيلة عذرة كذلك بل يلتقيان في النسب عند جدهما حنا بن ربيعة وهمــا مــن عذرة التي تنتمي إلى قضاعة بمنطقة الحجاز جاء في كتاب مجموعة أعــلام الشــعر: (جميل بن عبد الله بن معمر من بني عذرة من قضاعة التي تسكن الحجاز على طريق مصر والشام وأمه من (جذام) وهي تسكن في الجانب الشمالي من هذا الطريق.

---

[١] تاريخ الأدب العربي، تأليف عمر فروخ، مطبعة دار العلم للملايين، ج١، ط٢، بيــروت، ١٣٨٨هـــ – ١٩٦٩م ، ص٤٧٩

[٢] الأغاني، ج٨، ص٩٥

يلتقي نسبه ونسب صاحبته بثينة عند جدهما حنا بن ربيعة ثم يختلفان على ما بينهما من تقارب النسب في قوة العشيرة وصلاح الحال.[1]

وبما أن قبيلة عذرة مشهورة بالعفة والطهر والحب البريء الصادق قد تأثر جميل كثيراً بتقاليدها وعاداتها، وقيمها، فهو ابن بيئته ولابد له أن يتأثر بمحيطه الذي يعيش فيه ومجتمعه الذي شب وترعرع فيه.[2]

وكان جميل في أول الأمر يميل إلى ابنة عمه أم الجسر بنت حبأ ثم تعلق بأختها بثينة وتعلقت به بثينة فخطبها إلى أبيها ولكن أباها رده.

وزاد ولع جميل ببثينة فجعل يقول فيها الشعر ويقصدها في حبه مرة بعد مرة، فاستعدى أهلها عليه مروان بن الحكم وكان والياً من قبل معاوية بن أبي سفيان على المدينة للمرة الثانية (٥٦ – ٥٧هـ) وكان عامله على وادي القرى دَجاجة بن ربعى فتوعد دجاجة بن ربيعة جميلاً أن لو زار بثينة أو تعرض لها فهرب جميل إلى أخواله من بني جُذام باليمن.

وفي ذي القعدة من سنة ٥٧هـ عزل مروان عن المدينة واتفق أن انتجع أهل بثينة بأنعامهم، فجاء جميل إلى الشام ثم عاد إلى وادي القرى.[3]

وأخبار جميل وأشعاره تدلنا أن بثينة لم تكن أول من أحب من النساء فقد تعشق قبلها أختها أم الجسير أو أم الحسين على اختلاف الروايات فيها فمن ذلك قوله ينسب بها:

ألم تسأل الدار القديمة: هل لها *** بأم جسير، بعد عهدك، من عهد

و قوله أيضاً:

يا خليلي، إن أم حسيـــــن *** حين يدنو الضجيع من علله

---

[1] مجموعة أعلام الشعر للعقاد، ص١٢٩

[2] مجموعة أعلام الشعر، مرجع سابق، ص١١٩

[3] تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق

روضة ذات صفوة و خزامى، *** جاد فيها الربيع من سلبـــــه[1]

فلما علق بثينة شغلته عن سائر النساء، فوقف قلبه و شعره عليها، يذكر اســمها مرة، و يكني عنه مرة باسم آخر، حتى شهر بها و شهرت به، فقيل: جميل بثينــة . و تحدث بهما الناس في القبيلة و خارج القبيلة . فلما جاء يخطبها إلى أبيهــا، ضــن عليه بها، لئلا يلحقه عارها، و آثر تزويجها فتى من عذرة يقال له نبيه بن الأســود، و فيه يقول جميل:

لقد أنكحوا جهلا نبيها ظعينة *** لطيفة طي الكشح، ذات شوى خدل

و زاده زواجها ولهاً بها، فأخذ يزورها خفية في بيت بعلها، و يشبب بهــا فــي شعره، و لم تكن تتوارى عنه إذا جاءها، و تساعدها على أخواتها على الاجتماع به، و يحتلن على زوجها و والدهن، فيصرفنهما عنها، إذا طلباه عندها . و تعرض لــه أهلها و أنسباؤها غير مرة للإيقاع به، فكان يدفعهم عنه معتزاً بسيفه و شــجاعته، لا يبالي تألبهم عليه، و في ذلك يقول:

فليت رجالا فيك قد نذروا دمي *** و هموا بقتلي، يا بثين، لقونــي

إذا ما رأوني طالعا من بثينــة *** يقولون: من هذا ؟ و قد عرفوني

و لم يقتصر الأمر عليهم بل تصدى له الشعراء من بني الأحب رهط بثينة يهجونه كعبيد الله بن قطبة و أخيه جواس، و عمير بن رمل و سواهم، فرد عليهم جميل، و بلغ من هجائهم ما بلغوا من هجائه . و كان جواس زوج أم الحسين أخت بثينة، و قد تغزل بها جميل كما ذكرنا، فأخذ يهجوه و جميل لا يجيبه احتقاراً له، حتى قال فــي أخته:

إلى فخذيها العبلتين، و كانتا *** بعهدي، لفاوين أردفتا ثقلا[2]

---

[1] ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، ص٦

[2] ديوان جميل بن بثينة، مرجع سابق، ص ٦ – ٧

فحمي جميل حينئذ ورد عليه، فالتحم بينهما الهجاء، فغضب لجميل نفر من قومه، يقال لهم بنو سفيان، فجاؤوا إلى جواس ليلاً، و هو في بيته، فضربوه، و عـــوروا امرأته أم الحسين، فقال جميل:

ما عر جواس استها، إذ يسبهم *** بصقري بني سفيان: قيس و عاصم

هما جردا أم الحسين، و أوقعا *** أمر و أدهى من وقيعة سالـــــــم

فاستاءت بثينة من جميل لهجائه أهلها جميعاً، و ما كانت تتوقع منـــه أن يتنـــاول أختها بشعره . فقال يخاطبها:

تفرق أهلانا، بثين، فمنهـــــــم *** فريق أقاموا، و استمر فريق

فلو كنت خوارا لقد باح مضمري *** و لكني صلب القناة، عريق

كأن لم نحارب، يا بثين، لو أنـــه *** تكشف غماها، و أنت صديق

و لقد أعذر جميل إليها، فإنه شجاع حمي الأنف لا يحتمل الضيم، و لا ينكص عن مقارعة من هاجاه، ما استطاع إليه سبيلا . وهو إلى ذلك أعرابي فيـــه عنجهيـــة أهل البادية، وحفاظهم على الحرم، ودفعهم الشر بمثله، فلم يتمالك عن الإقذاع لأختها، بعد ما أقذع زوجها لأخته . وإذا كانت بثينة لا تحمل له الحقد، وإن غضـــبت عليـــه، فأهلها محنقون ساخطون يرصدون له الأذية، ويوالون الشكوى إلى عشيرته مهـــددين متوعدين، حتى إذا أعياهم أمره استعدوا عليه بني عامر بن ربيعي بن دجاجة، وكـــان عاملاً على وادي القرى، وقالوا له: يهجونا و يغشى بيوتنا و ينسب بنسائبنا . فأباحهم دمه إن وجدوه قد غشي دورهم فحذرهم مدة، ثم وجدوه عندها، فتوعدوه و كرهـــوا أن ينشب بينهم و بين قومه حرب في دمه، [1] وكان قومه أعز من قومها، فأعـــادوا شكواه إلى العامل، و شكوه إلى مالك بن هشام الحضرمي والي تيماء من قبـــل عبـــد الملك، فطلبه طلباً شديداً، فهرب إلى اليمن، فأقام بها مدة . حتى إذ عزل الوالي عاد

---

[1] ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص٧

إليها يتبعها حيث كانت . و ربما عرضت له أسفار أبعدته عنها، فقد ترحل إلى الشام و طالت إقامته فيها، و قيل إن بثينة علقت في غيابه حجنة الهلالي، فلما رجع جميل جفاها زمناً ثم اصطلحا و عاد الهوى إلى حاله، و كثيراً ما كانت تحدث أمثال هذه المجافيات بينهما، كما تحدث بين العشاق عادة، تتعمدها بثينة إثارة لغيرته أو نكاية به لأمر تتسخطه منه . و ربما حدث ذلك بمساعي أهلها أو أهله . روى صاحب الأغاني أن رهط بثينة أخذوا يذيعون أن جميلاً يتبع أمة لهم، و أن بثينة لا علاقة لها به، يريدون إذلاله و تبرئة فتاتهم، فاحتدم جميل غيظاً و أراد تكذيبهم صوناً لسمعته، و إن أساء إلى سمعة حبيبته، و هو صنيع لا يحمد عليه العاشق العذري، و لكن خلق البداوة يغلب أحياناً عليه . فواعد بثينة ببرقاء ذي ضال، فتحادثا ليلاً حتى أسحرا . ثم قال لها: هل لك أن ترقدي ؟

قالت: ما شئت، و أنا خائفة أن نكون قد أصبحنا .

فوسدها إلى جانبها، ثم اضطجعا و نامت . فانسل و استوى على راحلته فذهب . و أصبحت في مضجعها و الحي يراها راقدة عند مناخ راحلة جميل . فلما انتبهت علمت ما أراده بها، فهجرته و آلت ألا تظهر له . و في ذلك يقول:

فمن يك في حبي بثينة يمتري *** فبرقاء ذي ضال علي شهيد

و لطالما قرعه نساء عشيرته ليبعدنه عنها، فيقلن له: إنما حصلت منها على الباطل و الكذب و الغدر، و غير ك أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى[1] بها؛ فيتألم جميل و يعاتب بثينة و يتهمها، فيتهاجران مدة ثم يتعاتبان و يتصافيان. و ربما رآها تتحدث إلى فتى من بني عمها، منصرفة غليه بجملتها، فيتلظى فؤاده غيرة عليها، فيعطف على فتاة غيرها يحادثها و يلازمها، فيشق ذلك عليه و على بثينة، و كل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه حتى إذا غلبه الأمر دخل إلى البيت الذي

---

[1] ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص٨ – ٩

كان يجتمع فيه معها . فتراه بثينة فتأتي إلى البيت و لا تبرز له، فيجزع جميل، و يجعل واحد منهما يطالع صاحبه، و قد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ، فيقول:

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة *** و في النفس حاجات إليك كما هيا

و إني لتثنيني الحفيظة، كلما *** لقيتك يوما، أن أبثك ما بيا

ألم تعلمي، يا عذبة الريق، أنني *** أظل، إذا لم أسق ريقك، صاديا ؟

فترق له و تصالحه ثم تقول له: أنشدني قولك:

تظل وراء الستر ترنو بلحظها *** إذا مر من أترابها من يروقها

فينشدها إياه، فتبكي و تقول: كلا جميل، و من ترى أنه يروقني غيرك ! فقد كانت بثينة تهوى جميلاً، و تؤثره على غيره من الفتيان الذين كانوا يروقونها، فتميل إليهم تلهياً أو تشفياً، و ظلت محافظة على مودته، و هي امرأة ذات بعل، لا تتلكأ عن الاختلاء به كلما جاء إليها، أو دعاها إليه، و حسبنا دليلاً على وفائها له، ما أصابها يوم نعاه الناعي إليها.[1]

وجميل كان رائدا في شعر الغزل العفيف (العذري) فقد تمتع بخصائص وطباع تجعل منه إماما لهذا الضرب من الغزل، جاء في كتاب ديوان الصبابة: (أقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر المحبين ميلاً وأظهرهم دليلاً وأحسنهم سيراً وأذكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولا سيما بنو عذرة الذي هم أشد الناس غراماً وأعظمهم حبا. فلذلك قلت وأقول: العشق مع العفة في بني عذرة كثيرة والمقتول منهم عشقاً جم غفير، فأذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق الغرمات).[2]

هذه بعض من سيرة جميل المتعلقة بحياته أما بالنسبة له من الناحية العلمية ومن تأثر بهم من الشعراء:

---

[1] ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص١٠

[2] مجموعة أعلاه الشعر، مرجع سابق، ص١١٩

أخذ تعليمه من بيئته البدوية وتشرب عاداتها وتقاليدها وجرى على نسق كثير من الشعراء الذين سبقوه، فقد كان راوياً للشعر وجامعاً له لذا فصح وبرّ أقرانه، خاصة في مجال شعر الغزل العفيف، تأثر جميل بثينة بالشاعر هدية بن خشرم حيث كان جميل راويه له: وهدبة هذا كان بدورة راوية للشاعر الحطيئة، والحطيئة راوية لزهير بن أبي سلمى وابنه كعب، وكل أولئك الشعراء ممن يعنى بجودة التعبير وتنقيحه من الشوائب.[١]

وجاء عن الحطيئة في كتاب تاريخ الأدب العربي (ولما تيقظت في نفسه موهبة الشعر لزم زهير بن أبي سلمى يعلمه إحكام صنعه على نحو ما كان يعلم ابنه كعبا. ومر بنا أن الحطيئة كان يروي شعر كعب أيضا وأنه طلب إليه أن ينوه به، حتى يدور على الألسن ذكره، ومعنى ذلك أن الحطيئة من مدرسة زهير التي كانت تعنى بالتعبير وصقله وتصفيته من كل شائبة كما كانت تعنى بالمعاني ودقتها.[٢]

إن جميل من مدرسة زهير الشهيرة، وزهير هو القصائد التي كانت بالحوليات. لأنه لا يخرجها إلا بعد حول كامل من التنقيح والتصليح لذلك نهل تلميذه الحطيئة من حوضه وأورث كل ذلك لهدية وهدية هذا تتلمذ على يديه جميل بثينة فجاء شعر جميل أشبه بشعر معلميه في الإجادة.

وتأثر جميل بهذه المدرسة كان من ناحية إجادة الضمة والعناية بالشعر إذ نجده اختلف عنهم في أنه سلك نهجاً وطريقاً مغايراً، إذ طرق ضرباً واحداً من ضروب الشعر هو الغزل، رغم أنه كان يفتخر بنفسه أحياناً في شعره وله أخبار عن تهاجيه مع بعض الشعراء، فديوانه معظمه غزل عفيف في محبوبته بثينة، مع قطوف متفرقة من شعر الفخر والهجاء.[٣]

---

[١] ديوان الصبابة، تأليف شهاب الدين بن أحمد، ص٢

[٢] تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص٩٦

[٣] تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص٣٦٧

وهكذا هذه بعض من سيرة جميل الذي نشأ بوادي القرى بين الحجـــاز والشـــام حيث نشأ وتربى في بيت مال ووفرة وحال ميسور مما أثر في بعض تصـــرفاته فقـــد وصفه العقاد بقوله (فكان وسيما قسيما طويل القامة عريض المنكبين مدللاً في نشـــأته منظورا إليه في بزته، على ضعف في الخُلق والعقل يقعد به من عظائم الأمور، ولا يكبح جماحه إن بدت به غواية الهوى فتمادت بها إلى منتهاها، وكذلك رشحته النشـــأة والخلفية والخليقة ليكون جميل بثينة، وجاء العصر والجوار فزكيا هذا الترشح وأوسعا له عن مداه فهو في دوره الذي تمثل لنا به في الشعر غير غريب).[1]

[1] مجموعة أعلام الشعر، مرجع سابق، ص١٣٢

المبحث الثاني
الحياة السياسية

قيام الدولة الأموية:

آلت مقاليد الأمور إلى بني أمية بعد نهاية حكم الخلفاء الراشدين فقامت دولتهم بين عامي ٤١هـ - ١٣٢هـ واتسع ملكهم فشمل العديد من بلاد آسيا وإفريقيا وامتدت دولتهم حتى المغرب والأندلس غرباً والهند والسند شرقاً.

وقد كانت نهاية حكم الخلفاء الراشدين بقتل الإمام علي كرم الله وجهه على يد عبد الرحمن بن مليم المرادي الذي ضربه على رأسه بسيف مسموم عند خروجه في العسق، لإيقاظ المصلين لصلاة الفجر صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة.[١] وذلك بإيعاز من الخوارج الذين قالوا في أحد اجتماعاتهم: لو قتلنا رؤوس الفتنة الثلاثة علي بن أبي طالب خليفة المسلمين بالكوفة، ومعاوية بن سفيان قائداً للمطالبين بدم عثمان بن عفان بدمشق، وعمر بن العاص والي مصر، لأعدنا للأمة الإسلامية زاهد عهدنا وسابق مجدها، ولأخمدنا الفتنة قبل أن تجتاح الإسلام والمسلمين، فقام عبد الرحمن بن ملحم وقال: أنا لعلي بن أبي طالب، ولعل دافعه لقتل علي دون صاحبيه ما يروى من أنه خطب جارية من الخوارج تدعى قطام بنت علقمة بن يم الرباب.[٢]

وكان الإمام علي قتل والداها وأخاها فطلبت مهراً لها رأس علي وعبداً وقينة وثلاثة آلاف درهم.

---

[١] وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن ممد بن أبي بكر بن خلكان، ج٥، ط٥، ص٣٨٩

[٢] الوافي بالوفيات، لصلاح الدين جليل بن أبيك الصرفي، ج٥، ط٢، ١٤١١هـ، دار فرانز، ص٢٤٠

وبالرغم من القبض على الخوارج الثلاثة إلا أن مصائرهم اختلفت جدا، كاختلاف ضحاياهم، فقد أراد أصحاب الإمام علي كرم الله وجهه قتل عبد الرحمن بن محلم فور القبض عليه، ولكن علياً أمر بإرجائه حتى يشفى فيرى رأيه فيه أو يموت بجراحه فيلي أمره حينئذ عامة المسلمين، والذين اقتصوا منه بعد وفاة الإمام علي كرم الله وجهه.

إذن فقد توفي الإمام علي بعد ثلاثة أيام من إصابته متأثراً بجراحه. وهكذا فقد فشل الخوارج في مساهم فشلا ذريعا ولم يقتلوا إلا أطيب الثلاثة منبتاً وأزكاهم أرومة، وأحفظهم لحق الأمة وأتقاهم لله عز وجل وأحبهم لقلب رسوله وأمدوا الفتنة بحطب جزلاً بدلاً من أن يخمدوها، فقد بايع أنصار الإمام علي ابنه الحسن في شهر رمضان سنة أربعين للهجرة وحثوه على القتال إنفاذ لأمر أبيه فقاد جيش مكون من أربعين ألف مقاتل يتقدمهم قيس بن سعد على رأس اثني عشر ألف.[١]

ولكن ما أن وصل الحسن إلى المدائن حتى جاءهم الصريخ، أن قد قتل قس فاضطرب الجيش؛ ويهب القوغاء قسطاط الحسن الحسن حتى نازعوه رداءه، ولم يكتفوا بذلك بل وثب عليه أحد الخوارج فطعنه بخنجر مسموم، فقال: (عليكم لعنة الله من أهل قرية، قد علمت أن لا خير فيكم، قتلتم أبي أمس، واليوم تفعلون بي هذا)[٢] وكاتب معاوية في الصلح واشترط عليه ثلاثة شروط، ففرح معاوية واغتنمها منه.

العلويون:

ما إن مات معاوية تاركاً ولاية العهد لابنه يزيد حتى احتج العراقيون.[٣] وقالوا: إن أحق الناس بهذا الأمر آل البيت لا يزيد، وأفاضوا في هذا الحديث من بين مؤيد

---

[١] سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ج٥، ط١، ١٤٠٣هـ ص٧، مؤسسة الرسالة

[٢] نفس المرجع السابق، ص٢٦٧

[٣] لأنهم شيعة الإمام علي بن أبي طالب وآله، منذ معركة الجمل

ومعارض، حتى أتاهم خبر رفض الحسين بن علي بن أبي طالب لبيعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وخروجه من المدينة إلى مكة بليل.[١] فأرسلوا إليه الكتب والعهود والمواثيق، أن سر إلينا فنؤيدك وننصرك وتعيد الخلافة إليك وإلى آلك بحد السيف. وأرسلت إليه عمة تذكرة بحديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (سيقتل الحسين بأرض بابل)، فقال: إذن لابد من مصرعي وخرج من فوره، فلحقه ابن عمر ليرده، وقال له: (أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنكم بضعة منه فوالله لا يليها أحد من أهل بيته أبداً؛ وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فارجع؛ فأنت تعرف غدر أهل العراق وما كان أبوك يلقى منهم فأبى فاعتنقه وقال: استودعتك الله من قتيل).[٢]

ومضى الحسين حتى بلغ أشراف فجاء خبر تخاذل أهل الكوفة وتسليمهم رسوله للأمويين الذين قتلوه وصلبوه، وكان بذلك أول من صُلب من آل البيت فاستشار من معه في الرجوع فرفضوا، وأصروا على القتال، فساروا حتى وصلوا لأرض كربلاء فعسكروا بها، وقد وصفها الحسين بقوله: أرض كرب وبلاء.

ولم تتوقف ثورات العلويين، حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ. [٣]

وانفض العلويين تحت لواء العباسيين الذي آسوهم بأنفسهم وأكرموهم بأموالهم وعرفوا لهم حقهم.

---

[١] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٢٩٢

[٢] العقد الفريد، ج٥، ص١٢٩

[٣] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٢٢٤

الزبيريون:

بعد أن نقض عبد الله بن الزبير مبايعة يزيد بن عبد الملك وأولج إلى مكة دخل الحجر ولبس المعافرى[١]، وأخذ يشجع الحسين بن علي على اللحاق بشيعته في العراق[٢]، وبقي هو بمكة يسب يزيد بن معاوية ويؤلب الناس على بني أمية، ولكنه سار إلى يحيى بن الحكيم الجمحي وإلى مكة يومئذ فبايعه.

ولكن يزيد لم يقبل هذا البيعة، وأمر ان يحمل إليه ابن الزبير مقيداً فرفض ابن الزبير السير إلى الشام وقال: (اللهم إني عائذ بيتك)[٣] فسمي عائذ البيت وبقي سنة كاملة لا يجرؤ أحد من الأمويين أن يعرض له بشر، حتى ارسل إليه يزيد وفداً من عشرة سفراء وكان ينشد بهم لكل ما أهمه من عظائم الأمور ومعضلاتها فيوفونها حقها ويكفونه شرها، وحتى سموا بالركب، فحبسهم ابن الزبير شهراً كاملاً ثم ردهم دون جواب قاطع، ولم يزد على أن قال لهم: (إني حمامة من حمام المسجد الحرام فهل تستحلون الحرام؟ فقالوا له: بل ليستحله من الحد فيه).[٤]

ولم يطق يزيد صبراً فأرسل إلى والي المدينة يأمره بمقاتلة ابن الزبير فجهز الوالي جيشاً من الف مقاتل وأم عليهم عمرو بن الزبير أجارة قال له: عبد الله بن الزبير أما حقي منهم، وأما حق الناس فلابد من أدائه، فقام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فقال: جلدني مئة جلدة وأريد حقي، فجلد عبد الله عمرو مائة جلدة، فمات فصلى عليه عبد الله بن الزبير.[٥]

---

[١] الأغاني، مرجع سابق، ص٢٨

[٢] العقد الفريد، مرجع سابق، ص١٣

[٣] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٤٧٣

[٤] الأغاني، مرجع سابق، ص٣٠

[٥] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٤٧٣

ولم يقنع يزيد بل أرسل جيشاً آخر مكوناً من ستة آلاف مقاتل إلى ابن الزبير بمكة فحاصروه خمسين يوماً.[١] وفي تلك الأيام رميت الكعبة بالمنجنيق وأخرقت يوم الثلاثاء لخمسة خلون من ربيع الأول عام أربعة وستين، وقيل يوم السبت لسنة خلون من ربيع الأول.

ومات يزيد بن معاوية في يوم الخميس لأربعة عشر خلت من مبيع الأول فبايع جيش الشاميين لابن الزبير بالخلافة، وعادوا إلى مواطنهم ثم تفرق الأمويين بعد وفاة معاوية بن يزيد الذي رفض أن يستخلف أحدا[٢] فاضطرب أمر الأمة الإسلامية خاصة بعد أن بايع الحجاز والشام عدا الأردن لابن الزبير، ورفض ابن العباس ومحمد بن الحنفية مبايعته فأغلظ لهما القول وهددهما بإحراق منازلهما، وقيل انه حبس محمد بن الحنفية حتى أنقذه أهل العراق من محبسه، وكاد الأمر أن يستقيم لابن الزبير لولا أن تصدى مروان بن الحكم للخلافة، فأوقع بالضحاك في مرج راهط ثم دخل دار الخلافة عنوة، وبذلك دانت له الشام ومصر.[٣] فأصبح للمسلمين خليفتان في آن واحد، ومدة خلافة مروان بن الحكم تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.[٤]

مات مروان بن الحكم مستخلفاً ابنه عبد الملك الذي قتل مصعب بن الزبير والي العراق من قبل الزبيريين، وسير إلى عبد الله بن الزبير الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين من جند الشام، وأمده بثلاثة آلاف فحاصروا ابن الزبير ومن معه وحج بالناس الحجاج وذلك في سنة اثنين وسبعين ولم يطوف الحجيج بالبيت حتى قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه، بعد قتال طويل استبسل فيه عبد الله أيما استبسال رافضا عروض الأمويين.

---

[١] العقد الفريد، مرجع سابق، ص١٤٠

[٢] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٣٧٤

[٣] العقد الفريد، مرجع سابق، ص١٤٢

[٤] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٣٧٣

وبذلك دانت كافة الأمصار لعبد الملك بن مروان وكانت خلافة عبد الله بن الزبير الصحابي الجليل تسعة سنين فقط، إلا أن عامة المؤرخين قد عدوا هذه السنين التسعة زمن فرقة، لذلك لم يدرجوا عبد الله بن الزبير في عداد الخلفاء الأمويين.

الخوارج:

ظهر الخوارج قبل الدولة الأموية بزمن غير يسير، فقد رفضوا التحكيم[١] الذي أقره الجيشان المتقاتلان بصفين، وانسقط علي بن أبي طالب. ويروى أنهم كانوا ثمانية آلاف، وقيل عشرة آلاف، عسكروا بحرولاء[٢] ولم يعودوا إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب، وكان كبيرهم عبد الله بن الكواء، فأرسل إليهم الإمام علي بن عباس فناظرهم وافهم فعاد جزء كبير منهم إلى الكوفة ثم أتاهم علي فأقنعهم أن يعودوا إليه لكنهم ما أن عادوا حتى أشاعوا بين الناس أن علياً قد تاب عن التحكيم، فخطب علي في الناس وقال: أنه ما زال على رأيه في التحكم فتنادى الخوارج من جوانب المسجد لا حكم إلا لله فقال علي: حكمة حق أريد بها باطل، وتسللوا قليلاً قليلاً، ثم اجتمعوا بالمدائن وكفروا علياً لرضاه بالتحكيم، ثم كفروا كل من ليس على معتقدهم، ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا كل من مرّ بهم من المسلمين عندها خرج علي بن أبي طالب لقتالهم فالتقوا بالنهروان، وهنالك هزمهم الإمام علي شر هزيمة، فتفرقوا في البلاد وتخفوا من الناس حتى قتل صاحبهم علي بن أبي طالب، فتجمعوا من جديد، وثاروا على معاوية فأوقع بهم في معركة النحيلة وظلوا مطاردين من قبل الخلفاء الأمويين حتى ثار عبد الله بن الزبير بمكة وأسس دولة الزبيريين، ومات معاوية بن يزيد بن معاوية دون أن يستخلف، وحار الأمويون في من يولونه أمرهم، واضطربت أحوال البلاد، حتى قام مروان بن الحكم وجمع شمل الأمويين.

---

[١] العقد الفريد، مرجع سابق، ص١٤٧

[٢] سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٣٧٣

عندما ظهر الخوارج في العراق بقيادة نافع بن الأزرق، وباليمامة بقيادة نجدة بن عام وعلا نجدة علواً شديداً فزاد في معتقدات الخوارج ما لم يكن منها، من ذلك قوله: (بتكفير الخارجي إن لم يقاتل المسلمين وتكفير كل من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعدا شيعته من الخوارج على المسلمين وروعوا الآمنين، وعاثوا في الأرض فساداً حتى تولى قتالهم المهلب بن أبي صفرة فاستأصل شأنهم، وكسر شوكتهم فتفرقوا في البلاد، وظلت فلولهم حتى صدر الدولة العباسية، دون أن تقوم قائمة. وللخوارج شعراء كثيرون دافعوا عن مذهبهم وضحوا في سبيله بكل غال ونفيس.

وقد اشتهر الخوارج بالبسالة والتفاني في القتال ومن قادتهم من ضرب به المثل في الشجاعة حشيب بن يزيد والذي وضعه المؤرخون بأنه ما صاح في جنبات جيش إلا انهزم، وزوجة غزالة التي دوخت الحجاج بن يوسف الثقفي وقضت على جيشه وتحصن منها في دار الإمارة وفي ذلك يقول عمران بن حطان:

أسد علي وفي الحروب نعامة *** وبداء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى *** بل كان قلبك في جناحي طائر[1]

عوامل سقوط الحكم الأموي:

لا يحمل عمر بن عبد العزيز تبعة ما حاق بالحكم الأموي إلا من يكره تحكيم الدين بالدنيا، أو من يجهل حقائق التاريخ. أما الأول فإنه يضيق ذرعاً بالإصلاح الذي يقمع الفساد، وبالحق الذي يدفع الباطل، وبالخُلق الذي يهذب السلوك، ويرى أن المتفقه في الدين يصلح للفتيا، ولا يصلح للسياسة. وأما الثاني فإنه يربط حياة الدولة وموتها وازدهارها واندثارها برجل واحد، وينسى أن وراء الأحداث والظواهر التاريخية عوامل متداخلة، يؤازر بعضها بعضاً ويُفضي بعضها إلى [2] بعض، ثم تؤدي إلى

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء الزمان، مرجع سابق، ص٣٨٩

[2] تاريخ الإسلام ٢٧٣/١ – ٢٧٩، وتاريخ خلافة بني أمية ٣٤٧

دثور نظام، وظهور آخر ودولة الأمويين لا يمكن أن تسقط إلا في إطار النواميس التاريخية المطردة، ووفق العوامل التي تدق عليها، وعلى غيرها من الدول، وأهمها:

١/ تولية العهد اثنين:

إن الحرص المفرط على الاستئثار بالحكم حمل بعض الأمويين على أن يولوا العهد اثنين من أبنائهم أو أخوتهم يحكم أحدهما بعد الآخر وهذا الضرب من التوريث يورث العداوة بين الابناء والأشقاء ويدفع أحد الوريثين إلى الانتصار. ومروان بن عبد الحكم أول من ابتدع هذه البدعة إذ ولى ولديه: عبد الملك وعبد العزيز.

٢/ العصبية القبلية والقومية:

ضيق الأمويين على أنفسهم إطار الأنصار باعتمادهم على بني أمية وعرب اليمن المقيمين في الشام، ومعاداتهم القبسيين والمصريين، وإبعادهم الأعاجم عن المراكز والوظائف البارزة في الدولة. ثم باعتقادهم أن العرب أفضل الأمم. وهذا الاعتقاد أشلى عليهم الفرس وأغرى بهم القبسيين، وهيأ العوامل المناسبة لظهور الحركة الشعوبية وليس من الإنصاف أن نحمل الأمويين وحدهم وزر الشعوبية، فهذه الحركة بدأت منذ اختلط العرب بالأعاجم، واشتدت حينما أصبح أكثر الفرس رعية في الدولة العربية الإسلامية، فراح مرازيتهم وسراتهم وأصاب الشأن منهم يبكون أمجادهم الضائعة، ويتهمون العرب بالتخلف، وقابل العرب الفرس بالتفاخر والتعالي، وتحول التنافس إلى معركة فكرية تشتجر فيها الأقلام قبل الرماح، والألسنة، وشرع المتنافسون يترامون ويتراشقون بالتهم.[١]

وحينما تسلم الأمويون زمام الحكم أعلنوا الزراية بالأعاجم، وتحيزوا للعرب عامة، ولبني أمية خاصة، جعلوا هذا المسلك سياسة رسمية للدولة ولم تبطل هذه

---

[١] الشعر في العصر الأموي، د. غازي طليمات، أ. عرفات الأشقر، غ.ش، ص٤٧ – ٤٨

السياسة إلا في عهد عمر بن عبد العزيز، غير أن فترة حكمه القصيرة لم تكن أكثر من هدنة، نقضها الأمويين بعد وفاته.

وعاد الفرس يظاهرون من يثورون على الأمويين، إذا أيدوا المختار الثقفي، وآزروا الخوارج، وثاروا مع يزيد بن المهلب، وكانوا الوقود المهيأ للاشتعال في ثورة العباسيين، والقوة الفعالة في تدمير الحكم الأموي.

٣/ الانغماس في الترف:

كان بنو أمية منذ العصر الجاهلي أهل سرف وترف فلما أسلموا وحكموا تضاعف ثراؤهم، وتدفق عليهم المال من كل وجه، وإذا استثنيت عمر بن عبد العزيز، وجدت خلفاء بني أمية إلى الرغد أقرب منهم إلى الزهد وعلى التمتع بملذات الدنيا أحرص منهم على التقشف، وأشهر من خلفائهم ثلاثة من المترفين المسرفين: يزيد بن معاوية النزاع إلى اللهو، ويزيد بن عبد الملك الذي نهج نهج يزيد الأول، والوليد بن يزيد الذي بر اليزيدين في مجونه.

قال المسعودي في يزيد بن معاوية: (كان صاحب طرب وجوار وكلاب وفهود ومنادمة على الشراب). وقال البلخي في يزيد الثاني: (كان صاحب لهو وقصف). وقال الزركلي في ترجمته: (فيه مروءة كاملة مع إفراط في الإنصراف إلى الملذات). وقال ابن الأثير في ترجمته الوليد بن يزيد: (كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم، متهكما في اللهو والشر وسماع الغناء فظهر ذلك من أمره، فقتل). [١]

---

[١] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص ٤٨

وهكذا وبهذه الأسباب وبغيرها أخذت تتداعى وتضعف حتى سقطت عام ١٣٢هـ

وهنالك أسباب أخرى يمكن أن نذكرها بإيجاز وهي:

١/ احتقار بني أمية للموالي.

٢/ جعلهم نظام الحكم وراثياً.

٣/ انشقاق الأمويين أنفسهم وتفرق كلمتهم.

٤/ انشغالهم في ملذاتهم الخاصة.

٥/ الثورة التي كان يقودها خصومهم من زبيرية وشيعة. [١]

[١] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص ٤٩

المبحث الثالث
الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية:

في دراسة العصر الأموي وكل عصر من العصور؛ ليس من اليسير فصل العناصر الاجتماعية عن العناصر السياسية لتداخل الخيوط التي يحاك منها نسيج الحياة العامة على نحو متكامل، تشتبك فيه العوامل والظروف والنتائج اشتباكاً يتعذر معه تمييز السياسة من الاجتماع والاقتصاد من العمران، والتخلق من الدين. ولهذا فإن على القارئ أن يوطن نفسه على التماس الأعذار للتكرار، واغتفار التعارض في الأفكار، وهو ينتقل من ميدان إلى آخر، لأن الانتقال من فصل إلى فصل لا يعني تغيير المنظور، وإنما يعني تغيير الجانب الذي يُنظر منه إليه، أي: إلى الحياة العامة المتكاملة الجوانب.

طبقات المجتمع في العصر الأموي:

حملت الفتوح جيوش العرب من نجد واليمن والحجاز إلى مشارق الأرض ومغاربها، وبهذا الحمل تركت أثرها العميق البنية البشرية للدولة العربية الإسلامية، لكن سمات هذا البنية لم تتضح في عصر الراشدين؛ لأن المجتمع في حالة مخاض مستمر، وحركة دؤوب. فلما حكم الأمويين هذه الدولة الآخذة بالاتساع، ونقلوا حاضرتها إلى دمشق بدأت طبقات المجتمع تتشكل وأخذت كل طبقة مكانها ومكانتها في التركيب الجديد وفق أحوال آخذة بالانتقال من التداخل إلى التمايز، ومن الحركة إلى الاستقرار، فإذا بها في الحواضر أربع طبقات: العرب، الموالي، أهل الذمة من نصارى ويهود، والرقيق، وإذا هي في البوادي استمرار لما كانت عليه الحال في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والراشدين.[1]

---

[1] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥١ – ٥٢

العـــرب:

لم يصب العرب من التطور الذي أنجزه العصر الأموي حظوظاً متســـاوية، بـــل أصابوا حظوظاً متفاوتة يمكن تحديدها بالاحتكام إلى معيار جغرافي وهو خروجهم من البوادي إلى الحواضر للإقامة فيها أو بقائهم في مواطنهم القديمة وبالاحتكام إلى هـــذا المعيار نستطيع أن نقسم العرب إلى فريقين: عرب البوادي المحافظين على القديم من التقاليد، والفريق الثاني: عرب الحواضر المستجيبين لكثيـــر مـــن دواعـــي التغيـــر والتطوير.

أما عرب البوادي "الفريق الأول" فقد بقيت حياتهم محافظه علـــى البـــداوة بكـــل مظاهرها و تقاليدها وطرائق العيش فيها. فهم رعاة إبـــل وشـــاة، واصـــحاب خيـــام ومضارب ومدمنو ترحل وتنقل، يحقرون الزراعة والصناعة، ويسخرون من امتهان المهن، وليس لهم من ترف الحضارة أدنى نصيب، وكانوا إذا مروا بالأمصار التـــي مصرتها جيوش الفتح كالكوفة والبصرة لم يطيقوا بها البقاء لما فيها من تجديد وتعقيد، ومخالفة للتقاليد، وإذا خطر لهم أن يتمصروا تمصروا ولم يتحضروا أي: نزلوا فـــي أرياض الموت وأكنافها، ولم يقطعوا صلتهم بحياة الرعي، وعلة ذلك تأصل البـــداوة فيهم وصعوبة التملص من شرك التقاليد الموروثة.

ورأس هذه التقاليد الحفاظ على الأنساب ونقلها من السلف إلى الخلف لئلا تضـــيع دماؤهم في بحر العتمة. وهذا التقليد الموروث استتبع تقليدا آخـــر، وهـــو التعصـــب للقبيلة، والارتباط بسيدها، وشيخ القبيلة يصل قومه بالدولة. ولهذا الارتباط وجهـــان: أحدهما سلبي، وهو إضعاف الإنتماء إلى الدولة والأمة، والآخر إيجابي وهو إراحـــة الحكومة من أعباء الإشراف على السياسة والإدارة المدنية. [1]

---

[1] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص ٥٢

وهذا الارتباط الضعيف بالدولة أفسح المجال للعصاة والمردة أن يخرجوا على نظام الحكم وتشريعاته، وعُرف هؤلاء الخارجون على القانون بالصعاليك و الخلعاء، أي الصعاليك الفارين من العدالة الذين تخلت عنهم قبائلهم وهم أشبه الناس بصعاليك العصر الجاهلي. وظهور هذه الطبقة بعث بعض العادات من مراقدها لهذا ظهرت الإجارة مرة أخرى، لحماية المستجير على أن يلتزم ما تلزمه الإجارة من واجبات. فإن لم يلتزمها رُدت إجارته.

وأغرب ما في الإجارة وردها في العصر الأموي أن الخلفاء والأمراء كان يجير بعضهم على بعض، وأن بعض القبائل كانت تجير العصاة على الولاة أو الخلفاء.

وصعاليك العصر الأموي كانوا بصورة عامة ألين عريكة وأقل شغباً من الصعاليك؛ لأن هيبة الدولة تخيف من يجيرهم، فلا يجرؤون على القتل والسلب والحرابة، فإن تجرؤوا تبرأ منهم مجيرهم وأعلنوا خلعهم، لئلا تأخذهم الدولة بجرائرهم.

والفريق الثاني من العرب عرب الحواضر وهم على ضربين: ١- ضرب تحضر قبل الإسلام . ٢- ضرب تحضر بعد الفتوح .

من الضرب الأول: غساسنة جلق و مناذرة الحيرة و قريش مكة و ثقيف الطائف و أوس يثرب وخزرجها، وكل القبائل التي شرعت في الجاهلية تفضل التجارة والزراعة على البداوة ولكنها لم تتخل عن رعي الإبل والشاة، ومن هذا الضرب كان القادة والفقهاء والولاة وأصحاب الشأن في دولة الراشدين ثم في الدولة الأموية، لأنهم اكتسبوا بالتحضر خبرة كان الأعراب يفتقرون إليها.[١] والمتحضرون من العرب أهم الطبقات. منهم يختار الولاة والقضاة، وعليهم تلقى التبعات، وهم أعوان الخلفاء،

---

[١] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥٣ – ٥٤

وجلساء الأمراء، وأهل الشورى غير أنهم كما ورد في كلامنا عن العصبية، مثلما يرون في المناصب والرتب، فأعلاهم شأنا الأمويون، وأوسطهم اليمانيون الذين ظاهروا الحكم الأموي منذ عهد معاوية، أدناهم قيس ومضر لمناوئتهم "معداتهم" الحكم الأموي.

وجنود الفتوح أخذوا مع الأيام يستوطنون المعسكرات، والمعسكرات مع الأيام أخذت تتحول إلى مدن وأمصار وحواضر.

وما بلغنا من أرقام من أعداد الأجناد الذين مصروا الأمصار، وسكنوها مع أسرهم وأبنائهم وحفدتهم يدل على أن قسما كبيراً من أعراب نجد والحجاز واليمامة وتهامة رحل إلى هذه الأمصار، وعمرها. وحسبك أن تحصي عدد الأجناد في مصر واحد لتدرك مبلغ الرغبة في النزوح، والإمعان في الهجرة.

في عهد معاوية بن أبي سفيان كان جند العرب في مصر وحدها أربعين ألفا، ثم أخذ هذا العدد يتزايد باستمرار بعدما وفدت أفواج وأمداد أخرى بعضها يتابع الفتح، وبعضها يستقر حول وادي النيل في مدن يستقل بها، أو مدن يشاطر السكن فيها أهل البلاد الأصليين. وبعد هذا الحديث عن طبقات الشعب سنتحدث حديثاً مفصلاً عن المدينة الإسلامية، نرسم فيه صورة واضحة للحياة فيها.

٢/ الموالي:

واحدُ الموالي: المولى، والمولى كما جاء في لسان العرب على ستة أوجه: (ابن العم، والعم، والأخ، والابن، والعصبات كلهم، والمولى الناصر). وجاء في اللسان أيضا: (المولى الحليف، وهو من أنعم إليك، فعز بعزك، وامتنع بمنعتك، [١] والمعنى الأخير هو المقصود فيما نحن فيه من دراسة الطبقات التي كان المجتمع الإسلامي يتألف منها في العصر الأموي. غير أنه تخصص بعد عموم، فاصبح يطلق

---

[١] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥٥ – ٥٦

على المسلمين من غير العرب الذين انضموا إلى الدولة العربية الأموية، وتشكل منهم السواد الأعظم من السكان. والقسم الأعظم من هذا السواد الأعظم فرس، وأعاجم كانوا قبل الإسلام تحت الحكم الفارسي.

كانت دولة بني مروان – والقول للجاحظ – عربية أعرابية، أي قومية الاتجاه واتجاهها القومي حملها على أن تقدم العرب على الفرس وترك الموالي أدنى رتبة من العرب إخوانهم في الدين وشركائهم في الوطن، غير أن سياسة الدولة لا تملك قلوب الشعب ولا تقوى على انتزاع الأخوة المغروسة في النفوس، ولا تغير المعيار الذي سنته حجة الوداع للتفاضل بين الناس، ونزل به قبل حجة الوداع نص منزل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣/٤٩).

وعلى الرغم من المعاملة الإنسانية التي عامل بها المؤمنون العرب إخوانهم الموالي، فقد حرص المستشرقون على أن يتصيدوا من هفوات الحكام ما يصمون به العصر الأموي كله، ومما تصيدوا أن الحجاج منع الموالي من الهجرة إلى البصرة والكوفة.

أما القاعدة فهي أن العرب كانوا يعاملون الموالي معاملة إنسانية كريمة ولو كانوا يضطهدونهم لما نبغ من الفرس والنبط والبربر قادة ورادة، ومنهم: حريث بن قتبة وأخوه ثابت، وحيان النبطي وابنه مقاتل، وطارق بن زياد البربري. وجاء في كتاب المحير أن نحو ثلاثين من رقيق الكوفة والبصرة قد نبه شأنهم وعلا[1] ذكرهم، حتى غدوا من سراء القوم، وأرباب الشرف والترف، فإذا كان حال الرقيق على النحو الذي صوره ابن حبيب، فكيف كان حال الموالي؟ حسنت حال الموالي،

---

[1] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥٧ – ٥٨

وأصابوا من الثراء والجاه ما لم يفز بمثله كثير من العرب، كانت لهم إقطاعات وحمامات ودور وقصور، ونافسوا الأمراء في الظفر بمدائح الشعراء، حتى أن الفرزدق – وهو من هو في العجرفية والضجة مدح أكثر من مولى: مدح عبد الله بن عبد الأعلى مولى كالدين الوليد ومسلمة بن سنان مولى بني مسمع، وكثير بن سيار مولى بني سعد، ومسلم بن المسيب مولى بني بجيلة.

ومن يستعرض ديوان جرير أشعر شعراء العصر يجد فيه إطراء للموالى واعتزازاً بما في نسبهم من إنتماء إلى إبراهيم عليه السلام، وإقراراً بأن هذا النسب يجمعهم بنسب العرب.

قال جرير: [1]

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا *** حمائل موت لابسين السنورا

إذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم *** وكسرى وعدو الهرمذان وقيصرا

أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا *** أب كان مهديا نبيا مطهرا

لو أنصف المستشرقون لذكروا أن العرب والموالي تألفوا أو تحالفوا بعد الفتح، وتمازجوا وتزاوجوا بعد الاستقرار، ثم وحدهم اللسان والبيان والسكن والوطن، والاتجاه إلى قبيلة بر تصونها، والإيمان بملة يقدسونها، فانضوى الموالي تحت ظلال العرب وانتموا إلى قبائلهم، وظهر منهم شعراء فصحاء، ينافحون عن هذه القبائل، كأنهم يحملون دماءها لا أسماءها، ومنهم: زياد الأعجم مولى عبد القيس، وهارون مولى الأزد، وثروان مولى بني عذرة، وشقران مولى بني سلامات.

وكافأت القبائل من نبغ من شعرائها الموالي بالتعصب لهم، والذبّ عنهم، وحمايتهم من ظلم الأمراء والشفاعة لهم عند الخلفاء. وأدل ما يدلك على ذلك انتصار اليمانية لشاعرها ومولاها يزيد بن أبيه المعروف بابن مُفرع حينما سجنه عبادُ بن زياد

---

[1] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥٨

بن أبيه، لأنه هجاء فأقذع، وانتصارها له أجبر عباداً على أن يطلقه بأمر من معاوية ورحابة الصدر العربي أغرت اللسان الفارسي في بعض الأحيان بالفخر، فاندفع إسماعيل بن يسار النسائي يمجد الفرس حتى أثار غضب الخليفة هشام بن عبد الملك، لكن هذا الغضب لم يزجر أبناء الأعجميات من الشعراء العرب عن التباهي بأمهاتهم.

وما تظن هذا الفخر إلا محاكاة للفخر العربي الذي ملأ النقائض والأراجيز، فانتقلت عدواه من العرب إلى العجم أو إلى أبناء الأعجميات. ولو رأى فيه بنو أمية نزعة سياسية ما سمحوا به والحق أن الأمويين، على تعصبهم للعرب، لم ينكروا خبرة الموالي في شؤون الإدارة، ولهذا فإنهم بعد ما عربوا الدواوين تخيروا لإدارتها والكتابة فيها من كانوا يحسنون العربية من الموالي وعلى رأسهم عبد الحميد الكاتب مولى بني عامر، ورئيس الدواوين في خلافة مروان بن محمد.[1]

٣/ أهل الذمة:

جاء في لسان العرب: والذِّمَّة: العهد والكَفالةُ وجمعها ذِمامٌ، وفلان له ذِمَّة أي: حق. وفي حديث عليّ ــ كرم الله وجهه ــ ذِمَّتي: رَهِينُه وأَنا به زعيم. أَي ضماني وعهدي رَهْنٌ في الوفاء به. والذمام والذمامة: الحرمة، أو كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة. ومن ذلك يسمى أهل العهد أهل الذمة. وجاء فيه أيضاً: (الذمة الأمان ولهذا سُمي المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي تؤخذ منه).

فالتسمية مبنية على التوقير لا التقي، وعلى الإجلال والضمانة لا على الاستغلال والإهانة، وكل ما يوجه إلى اللفظ من تهم افتراء. يراد منه تشويه التاريخ العربي الإسلامي، والنيل من مقاصده السامية.

لقد تمتع أهل الذمة في العراق والشام وهم النصارى واليهود بالحرية الدينية الكاملة، في أداء صلواتهم والقيام بشعائرهم، وفي فارس عومل غير المسلمين معاملة

---

[1] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥٨

إنسانية كريمة حتى ولو لم يكونوا من أهل الكتاب، وفي مصر خير العرب المسلمون أهل الذمة من الأقباط وغيرهم بين البقاء على دينهم والإسلام. فمن اسلم منهم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليه، ومن بقي على دينه فُرض عليه ما فرض على أهل الذمة في الشام والعراق من الجزية. والجزية عند التحقيق ليست أكثر من ضريبة طفيفة يؤديها الذمي كفاء ما تقدم إليه الدولة من رعاية وحماية؛ إذ تصون دينه ودمه وماله وولده.

ولك أن تلحق بأهل الذمة طبقة قليلة العدد، وهي البقية الباقية من غزاة الروم الذين كانوا يحكمون مصر والشام، وهذه الطبقة راحت تذوب في المجتمع الجديد، فتُسلم أو تبقى على نصرانيتها، فيعاملها الأمويون معاملة أهل الذمة.

٤/ الرقيق:

الرقيق في اللغه: المملوك واحداً كان أو جماعه. جاء في لسان العرب: (الرقيق: المملوك واحد وجمع، وقد رق فلان: صار عبداً. قال أبو العباس: سُمي العبيد رقيقا، لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون، وربما سمت العرب الرقيق قينا، وجمعتهم على قيان وأقيان وقيون والأصل في القين الحداد ولما كانت العرب تحقر أهل الصناعة وخاصة الحداد، فقد أطلقت القين على العبد، جاء في لسان[١] العرب: (القين: الحداد، وقيل كل صانع[٢] قين، والقين: العبدُ، والقينة: الأمة المغنية.. إنما قل قينة إذا كان الغناء صناعة لها، وذلك من عمل الإماء دون الحرائر).

كانت طبقة الأرقاء في العصر الجاهلي أدنى الطبقات الاجتماعية، وأفرادها من أسرى الحروب، ومن أبناء الإماء، وممن يشتريهم سراة القوم للعمل والكومة. فلما جاء الإسلام أخذ يحررهم تحريراً متدرجاً لكنه عملي، لاستناده إلى آيات منزلة وأحاديث شريفة، وسلوك واقعي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته. ومضى

---

[١] الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٥٩

[٢] وذلك لأن الصناع كانوا كلهم من الأرقاء

الراشدون في طريق التحرير، فخطوا خطوات واسعة، ومن أوسعها وأنجعها ما يدل عليه الخبر التالي: (نقل البلاذري عن شويس العدوي قال: إن عمر بن الخطاب جنب إلينا بإطلاق السبي، لأنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض، فخلوا ما في أيديكم من السبي، واجعلوا عليهم الخراج). فلما كان عهد بني أمية اتسعت الفتوح، في مشارق الأرض ومغاربها، ووقع ألوف المحاربين من جيوش الأعداء في الأسر، فإذا هم يكونون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع، فيها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، وأبرز العروق التي تحدر منها الأسرى الترك والصقالبة وسودان النوبة والأحباش والزّط.

بعض نماذج الإمارات التي كانت في العهد الأموي:

مكة والمدينة:

مكة بيت الله الحرام، ومقصد ضيوف الرحمن، وقبلة المسلمين في كل زمان ومكان، ومن أسمائها بكة لقوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)[1] والبيت الأمين لقوله تعالى: (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)[2] وسبب[3] تسميتها بمكة: أنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم، وقيل لأنها تمك الذنوب أي تذهبها، وقيل لأن الحجيج في الجاهلية لا يرون لحجهم التمام حتى يأتوا مكة، فيصفرون فيها صفير المكاء.[4] وهو نوع من الطيور.

أما المدينة فمهبط الوحي، ودار الهجرة، فيها بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومسجده، وسكانها الأنصار، واليهود، وهي أحب البلاد إلى الخالق عز وجل لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم مناجياً ربه عند هجرته: (رب أخرجتني من أحب

---

[1] سورة آل عمران الآية ٩٦

[2] سورة التين، الآية ٣

[3] معجم البلدان لياقوت الحمودي، ج١، ص٤٣٢

[4] معجم البلدان لياقوت الحمودي، مرجع سابق، ص٤٣٢

البلاد إلى فاسكني أحب البلاد إليك، فأسكنه المدينة ولها تسعة وعشرون اسما[1] وهما من أزهى الحواضر في الدولة الأموية، رغم انتقال دار الخلافة إلى الشام: فقد بقيت مركز إشعاع ديني وحضاري، واعتنى أهلها حتى لم يجدوا لأموالهم مصرفاً ولا للزكاة مستحقاً، فقد صب أبناء المدينتين العائدين من الغزوات كل أموالهم في إصلاح مدينتهم، لتصبح على غرار المدن التي فتحوها فابتنوا القصور الضخمة وتنافسوا في ذلك.

البصرة:

عندما اتسعت رقعة البلاد وكثرت الفتوحات احتاجت جيوش المسلمين إلى حواضر يرتاحون فيها، وينطلقون منها متأهبين لقتال عدوهم، فرأى عمر بن الخطاب بما له ثاقب البصر، أن لا ينزلوا الحواضر القديمة خوفاً من أن اختلاطهم بأهلها، وذوبانهم فيها، فأمرهم ببناء معسكرين على حدود الجزيرة الشرقية، فاختاروا البصرة وسميت بالبصرة لامتلائها بالحجارة ذات اللون الأبيض، والبصرة في اللغة حجارة رخوة ذات اللون الأبيض.[2]

ثم تطورت على يد أبي بكر الذي كان أول من غرس النخل بالبصرة وظلت البصرة منزلة المجاهدين في سبيل الله حتى قتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فانضمت البصرة إلى السيدة عائشة رضي الله عنها ومن معها[3]، ثم لم تلبث أن سلمت قيادتها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، ثم دانت لبني أمية الذين أججوا الخصومة بين القبائل، وضربوا بعضهم ببعض، ليشغلوهم عن الحكم وشؤونه، وأطلت العصبية برأسها من جديد.

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص٨٣

(2) القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز أبادي، ج١، دار الحديث، القاهرة، ص٣٧٣

(3) العقد الفريد، مرجع سابق، ص١٠٢

الكوفة:

الكوفة في اللغة الرملة الحمراء المستديرة، أو كل رملة تخالطها حصباء[١]، ومصرها سعد بن أبي وقاص سنة ستة عشر للهجرة[٢]، بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونزلت القبائل اليمنية في شرقها والعدنانية في غربها، وقسمت إلى سبعة خطط وتقع الكوفة في أجمل البقاع شرقها وزروع ونخيل يسقيها الفرات، وغربها الحيرة والنجف.

وقد اتخذها الإمام علي مقرً لخلافته منذ أن تولاها، غارساً بذلك حبه في قلوب الكوفيين الذين ناصروه إلى أن قتل ثم ناصروا أهله، وظلت الكوفة علوية رغم مبايعتهم لبني أمية سنة واحد وأربعين.[٣] الذين أخذوهم بالرفق واللين بادئ ذي بدء ثم اشتدوا عليهم في ولاية زياد بن أبيه الذي ضيق عليهم الخناق، والجأهم إلى حمل السلاح، ثم قتل رؤساءهم شر قتلة فاعتبرهم الشيعة شهداء، وزاد كرههم للأمويين وبعد وفاة معاوية كاتبوا الحسين واستخدمهم إليهم، ثم خذلوه فقتل.[٤]

لكنهم ندموا على ما كان منهم، وخرجوا لقتال أهل الشام بقيادة سليمان بن صرد، والتقى الجيشان في رأس العين في ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة[٥]، وهزم الكوفيون شر هزيمة وأس سليمان فعادوا إلى بلادهم يجرون ذيول الخيبة.

وهكذا شغل الكوفة تشيعها وظلم الولاة لها عن النعرة القبلية، هذه الفتنة التي اجتاحت البلاد وافنت إبان الدولة الأموية.

□

---

(١) القاموس المحيط، مرجع سابق، ص١٩٢

(٢) تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص١٥٨

(٣) العقد الفريد، مرجع سابق، ص١٥٢

(٤) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص٣٧٣

(٥) تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص١٥٤

الحياة الأدبية:

معنى كلمة أدب:

في العصر الجاهلي:

كان الجاهليون يطلقون كلمة (أدب) على الدعوة إلى الطعام والراجح أنها من الأدب بمعنى الدعاء[١]، أما الطعام نفسه فيسمى المأدبة بضم الدال وكسرها[٢]، والمأدبة هي كل صنيع يدعى إليه الناس حقيقة كان أو مجازاً نحو حديث ابن مسعود (إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته)[٣]، أي صنيع المولى عز وجل دعاكم إليه لتستقوا منه علومكم وآدابكم.

والداعي إلى الطعام هو الأدب، قال طرفة بن العبد مفتخرا بكرمه وكرم قومه:

نحن في المشتاه ندعو الحفلى

لا ترى الأدب فينا ينتفر

في صدر الإسلام:

بدا مدلول كلمة أدب يتسع في العصر الإسلامي ليشمل التهذيب الخلقي حتى صار يعني النشأة الصالحة وحب الفضيلة وتجنب الرذيلة بالإضافة إلى جميع المعاني الحسنة والخصال الحميدة حتى أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال في حق نفسه: (أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد[٤]) الراجح هنا أنها شاملة لكل ما ذكرنا وقد ورد الإمام الشافعي في ذات المعنى بيتين هما:

كلما أدبني الدهر * أراني نقص عقلي

---

[١] لسان العرب لابن منظور، دار الحديث، ج١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص١٠٠

[٢] نفس المرجع والصفحة

[٣] تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى بن الزبيدي، دار الكتب العلية، ط١، ج٢، ١٣٠٦هـ، ص٨

[٤] تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص١٣٢

وإذا ما ازددت علما * زادني علا بجهلي[1]

أما اختصاص كلمة أدب بالتهذيب اللساني فقد ورد في نصح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه إذ قال له: (يا بني أنب نفسك تصل رحمك، وأحفظ محاسن الشعر بحسن أدبك) ونلاحظ أن المعنى الإسلامي لكلمة أدب لم يبعد كثيرا عن المعنى الجاهلي بل أخذه وزاد عليه مما يشاكله ويجانسه.

أغراض الشعر في العصر الأموي:

الأغراض التي طرقها شعر العصر الأموي هي نفس الأغراض التي كانت في العصور السابقة ولكن فيها بعض الإضافات:

المديح:

المدح: نقيض الهجاء وهو حُسن الثناء، وهو غرض من أغراض الشعر جوهره شُكر المحسن والثناء عليه والإشادة بمناقبه. لا يبالغ من يزعم أن المديح في العصر الجاهلي كان أحد الأغراض التي تتبوأ الصدارة وأنه ظل يحتفظ بهذه المكانة في العصر الأموي.

إن خلفاء بني أمية لم يكونوا يتقبلون مدائح خبائهم من الشعراء الذين ظاهروهم وحسب، وإنما كانوا يتقبلون كذلك مدائح الشعراء الذين مدحوا زعماء الأحزاب الأخرى.

دوافع المديح:

الإعجاب، وهو أشرف وأنبل ويقتسم شرفه ونبله الطرفان المادح والممدوح.

المطمع في الجوائز وهذا الدافع يكون أبعد الدوافع عن شرف المادح وأقربها إلى شرف الممدوح، وجوهره أن يتكسب الشاعر بما يحسن من القول. وخغيرها.

---

[1] الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، ج١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م، ص٢٤٣

الفخر:

عوامل الفخر في العصر الأموي:

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي رضي الله عنه حدثت أحداث، كادت تعصف بالمفاهيم الإنسانية السامية التي دعا إليها الإسلام، وعمل بها على إطفاء العصبية والتي كانت شديدة التوهج في العصر الجاهلي والعصبية القبلية كانت وقود الفخر وقوته المحركة.

وبعد الفتنة الكبرى راح الأمويون يتعصبون لقريش، ويزعمون أن الخلافة فيها عامة لا في بني هاشم خاصة. فلما انتصروا على الأحزاب السياسية الأخرى حرضوا بعض القبائل على بعض، فأحيوا بهذا التحريض روح الفخر القبلي من جديد. [١]

الهجاء:

كان الهجاء في صدر الإسلام تهذبت النفوس بمكارم الأخلاق، وغُسلت الأفواه من أوشاب السباب، وحُرم على المسلم أن يأكل لحم أخيه، ووصف بأنه ليس بلعان ولا طعان، فلم يبق من الهجاء إلا الرد على المشركين فيما يفترونه.

ثم آل الأمر إلى الأمويين، وحلة شعرة معاوية محل درة عمر فتخلصت مردة عبقر من أصفادها، وراحت الألسنة تترامى بما قدم من ضروب الهجاء وبما حدث على مرأى من الدولة ومسمع.

الزهد والحكمة والوصايا:

١/ الزهد: أسباب انتشاره:[٢]

إن العوامل التي أفضت بالمجتمع العربي الأموي في الحواضر إلى انتشار الغناء والغزل الهمري، وإشاعة اللهو والترف كانت من الأسباب التي أدت في الوقت نفسه إلى انتشار الزهد والتقشف، وإلى العزوف عن زخرف الدنيا وزينتها.

---

[١] تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص٣٢٨ – ٣٢٩

[٢] تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص٤٥٩

سمات الزهد والحكمة والوصايا:

قبل أن يمعن الدارس في تدبره هذه الأغراض يُخيل إليه أنه مقبل على موضوعات جديدة، لم تخطر في أذهان القدماء ومن سماتها:

أ/ استمرار القيم والشيم العربية الموروثة:

ولهذا الاستمرار ما يسوغه، فالإسلام – وإن جب ما قبله – لم يجب الفضائل والمكارم، بل أبقى عليها، ثم تممها بالصقل والتهذيب.

اصطباغ الزهد والحكمة والوصايا بصبغة إسلامية خالصة مستوحاة من الكتاب والسنة وكانت الحكمة في العصر الأموي تأتي متدفقة في الشعر عامة والزهد خاصة. وغيرها من السمات.

وفاة جميل بن معمر:

توفي جميل بثينة سنة ٨٢ من الهجرة، بعد أن عاش حياته جلها في وادي القرى بالحجاز. ورد في ديوان جميل بثينة الذي شرحه مهدي محمد ناصر الدين، أنه لما حضرت جميل الوفاة دعا برجلٍ وقال له: هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئا أعهد به إليك؟ قال: (نعم). قال: (إذا مت فخذ حلتي هذه واعزلها جانباً، وكل شيء سواها لك، وارحل إلى رهط بثينة على ناقتي هذه، وألبس حلتي هذه إذا وصلت، وأشققها ثم أعل على شرف[١] وصح بهذه الأبيات:

صدع النعي، وما كنى بجميل *** وثوى بمصر ثواء غير قفول

قومي، بثينة ، فاندبي بعويل *** وابكي خليلك[٢] دون كل خليل

فلما أتى الرجل وأنشد الأبيات قالت بثينة: يا هذا، إن كنت صادقاً قتلتني، وإن كنت كاذباً فضحتني. فقال: ما أنا إلا صادق وأراها الحلة. فصاحت ووقعت مغشياً عليها.[٣]

---

[١] الشرف: المكان المطل المرتفع

[٢] الخليل: الصاحب الذي ليس في مودته خلل

[٣] شرح ديوان جميل بثينة، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ص٩ – ١٠

المبحث الأول
الغزل تعريفه وأنواعه

الغزل:

الغزل لغةً:

يُعرف الغزل لغةً هو مصدر الفعل الماضي من غزل ومضارعه يغزل ومزيده تغزل ويتغزل.

الغزل اصطلاحاً:

هو الشِّعْرُ الذِي يُقَالُ فِي النِّسَاءِ وَوَصْفِهِنَّ وَالتَشَبُّبِ بِهِنَّ، [٣] ويُعتبر شعر الغزل فنٌّ من الفنون الشعريّة وغرضاً من أغراض نظم الشّعر التي مارسها الشّعراء منذ القِدَم وحتّى الوقت الحاضر، ويكون بوصف الجمال والتغنّي به، والاشتياق للمحبوبة والحزن والبكاء عليها في حالة الفراق، كما يصف المحبوبة وجمالها ويُركّز على مواطن التميّز فيها، واحتواء مشاعر الشّاعر وانفعالاته وأحاسيسه، ويعكس تجربة الشّاعر الذاتيّة والوجدانيّة الخاصّة. والغزل من أكثر فنون الشّعر العربيّ نتاجاً، وغالباً يكون أسلوب شعر الغزل سهلاً، ويحتوي على الألفاظ الواضحة، والكثير من المشاعر والعواطف التي تعصف بحال الشّعراء[١].

والغزل هو التصابي، والولع بمودات النساء، وإلفهن، والتخلق بما يوافقهن [٢]، فنشأ نشأة إنسانية يصف فيه الشاعر عاطفته تجاه المرأة، بأسلوب عذب رقيق لين .

وأكثر ما يطالعنا الغزل الجاهلي في مطالع القصائد، لأن الشاعر كان يولي المرأة الأفضلية فيمن يتحدث إليهم، وأنها جديرة بأن يقف فنه الشعري عليها. فيعبر الشاعر من خلال قصيدته عن مجموعة تجاربه في الحياة، ولكن تجربة الغزل تبقى

---

(١) أبو علي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، صفحة ٢. بتصرّف.

(٢) نقد الشعر: ١٢٣، والعمدة: ١٧/٢.

من التجارب الذاتية الخاصة بالشاعر، التي تمتزج بالشكوى والحزن والألـم، بسـبب طبيعة حياته غير المستقرة، وما فيها من قرب وتواصل، والتقاء وافتـراق، ولهـذا كانت المطالع الغزلية في الشعر العربي، وقصائد الغزل الكثيرة تطرد فيها رنة حزينة باكية، تبدو في بعض الأحيان مظهرا سوداويا، يصور بعض تشاؤمية الشـاعر فـي نظرته إلى المرأة والجمال، وهنا ينهض العامل الاجتماعي والنفسي بدور كبيـر فـي خلـق مفهـوم الألم وتجسيده في المقدمة الغزلية [١].

لقد وجد الشاعر الجاهلي في المرأة الكيان الذي يودعه كل مشـاعره الرقيقـة، ويعبر من خلالها عن إحساسه بالجمال، وإعجابه به، ويكشف عن لوعته، وذكريات شبابه، لذا اعتنى بالمرأة أشد العناية، وحرص على أن يجعلها مثالا . لقد كانت المرأة مولدا شعريا لشاعرنا الفارس النبيل، ترحالها يلهمه، ونظرتها تنطقه، وهـي بعيـدة عن تكوين الانسان البيولوجي. فهل قرأنا لشاعر جاهلي دون أن نحتفظ بهذه الصورة . إن المرأة، وهي نائمة، تنشر المسك، والزعفران، وأصـناف الطيـوب كافـة، وإن الأنثى الجاهلية دائما عطرة، ينضح من فمها الطيب، ودائما ساحرة وفاتنة ... وكان خياله الرسام يمده بالكثير من الصور الخلابة المتدفقة بالسحر، والجمـال، والصـفاء والطهر. فالرسوم الطبيعية التي رصف بها جسد حواء، وجوارحها، كانت كلها شهية الطعم، لذيذة المذاق، محببة إلى النفس، لونا وشكلا وشذى .

عنق المرأة كجيد الغزال، وشفتاها كأوراق الورد، وعيناهـا كعينـي البقـرة الوحشية، تجمع بين سواد الليل، ونقاء الفجر، بسمتها تغريك دائما باستجداء اللـذة، وحديثها يوحي إليك بطعم فمها العسلي، وأسنانها كأوراق الأقحوان، وشعرها جـدول من جداول الليل، يتيه فيه المشط، ونهداها جامدان متماسكان دائما، وبطنها قطعـة من نسيج فضي أملس، وهي دقيقة الخصر ابدا، وكان يخشى الشاعر عليهـا مـن أن

---

(١) – د . عناد غزوان:المرثاة ا لغزلية في ا لشعر العربي، ص ٢ .

تتقصف أثناء السير . هذه هي الصورة العامة للجمال " ليست مستقاة من شاعر واحد، بل هي مستقاه من الشعراء جميعا، فهي إذن تمثل الذوق العربي أدق تمثيل، وليس غرض الفنان أن يحاكي الواقع محاكاة لا تصرف فيها، فينقل صورة من الطبيعة، أو من المرأة، خلوا من عاطفته، وخياله، ولكنه يحاكي الطبيعة، ويستمد منها، ويضيف إليها، والشاعر الذي يصف المرأة على حالها دون أن يضفي على وصفه من خياله وعاطفته، مثله مثل المصور الذي يلقط الصور بالكاميرا وشتان بين المصور اللاقط، والمصور الرسام[١] .

أنواع الغزل:

١ـ الغزل الحسي:

وهو الغزل الذي ينطلق فيه الشاعر من نوازع شهوانية، وعواطف لا تعرف التحرج، أو التعفف، والعلاقة بالمرأة فيه علاقة تعبير عن استمتاع بها، ووصف الجوانب الحسية منها، أو بعبارة أدق هو الغزل الذي " يتألف من أوصاف الحبيبة نفسها، ومعظم هذه الأوصاف يتناول جسدها عضوا عضوا في إطالة واستقصاء حينا، وايجاز وإشارة حينا آخر، وقليلا ما يتناول نفس صاحبته، وقليلا ما مسّ فضائلها، أو عواطفها المجردة [٢] " .

وعلاقة امرئ القيس بالمرأة لا تخرج عن هذا الإطار، ويدل استقراء شعره على أنه كان مشغوفا بهن، ميالا بطبيعته إلى تصوير جمالهن . وكأنما كان يريد أن يصنع للنساء تماثيل تظهر محاسنهن، وتبرز مفاتنهن، فهي في احد تماثيله [٣]:

---

(١) د . احمد الحوفي: الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣٢ .

(٢) د . نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي، ص ١٤٧ .

(٣) ديوانه: ١٤٩، تحقيق حسن السندوبي .

مهفهفة: خفيفة اللحم . غير مفاضة:غير ضخمة البطن، ولا مسترخيه . الترائب: جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر . السجنجل: لفظة رومية، معناها المرآة . البكر: البيضة الأولى من بيض النعام، وخص البيضة الأولى لأن بياضها لا يكون خالصا . المقاناة: المخالطة . النمير: العذب . غير المحلل: لم يحل به، ولم ينزل عليه أحد فيكدر . أسيل: خدّ صاف . ناظرة: عين . وحش وجرة: يقصد بقرةوحشية .مطفل: ذات طفل، يريد أنها=

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
كبكر مقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل
تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يغشى المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى و مرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل
إلى مثلها يرنو الحليم صبابه إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

فهي تبدو فتاة ممشوقة القد، رشيقة القوام، في ميعة الصبا، وريعان الشباب، بيضاء البشرة، صافية الأديم، كلها أنوثة ونضارة، وقد نِشأت في نعمة ورغد العيش، وصدرها يشع بالفتنة والجمال، وتحرك خدها الأسيل في خفة ودلال، وعينها حوراء واسعة , ترسل بريقا، كأنما تسدد سهاما تحميها وتحفظها . وجيدها رائع أحاطت به أحسن الحلي . وأثمن الجواهر، وشعرها شديد السواد، طويل يغطي ظهرها، كثيف نظيف، تبدو فيه العناية واضحة، وتصنع منه أشكالا، منها ما هو مرسل، ومنها ما هو معقود، وكلها متداخل متشابك، هذا في ذاك، ولكن في ابداع واتقان، وخصرها نحيل، قوي متماسك، ولكن في لين ولطافه، وساقها أبيض ممتلئ بض .

وعلى الرغم من جرأة امرئ القيس، وما عرف عنه من الأوصاف الحسية في تصوير جسد المرأة، والمجاهرة بالمغامرات الغرامية، فإن عمرو بن كلثوم كان أكثر

=ليست بصغيرة دون البلوغ، ولا بكبيرة فانية . جيد: عنق .الرئم:الظبي الأبيض . ليس بفاحش:غير كريه المنظر . نصته: مدته وأبرزته . معطل: خال من الحلي .فرع: شعر طويل . المتن: الظهر . فاحم: شديد السواد . الأثيث: الكثير النبات. القنو:العذق .المتعثكل:المتداخل بعضه في بعض . العذائر: ذوائب الشعر . مستشزرات الى العلا: مفتولة إلى فوق . المدارى: جمع مدرى، أداة تسرح بها المرأة شعرها .

تكشفا حين ركز عدسته الفنية على مفاتن جسد محبوبته، وراح يصفها وصف من رأى، فقال [1]:

تريك إذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من أكف اللامسينا

ومتني لدنة سمقت وطالت روادفها تنوء بما ولينا

ومأكمة يضيق الباب عنها وكشحا قد جننت به جنونا

وساريتي بلنط أو رخام يرن خشاش حليهما رنينا

فقد رأى منها ذراعين ممتلئين، كذراعي ناقة بكر، طويلة العنق، سمينة بيضاء لم تحمل ولم تلد، وثديا مثل حق العاج أبيض مستديرا مصونا، لم يمسه أحد ومتني قامة طويلة لينة، وأردافا مكتنزة ثقيلة، ووركا عظيما ممتلئا، وكشحا جميلا جن من حسنه، وساقين كأسطوانتين من عاج أو رخام أبيض، فيهما الخلاخيل لها خشخشة ورنين .

ولعل من أكثر ما مد بشهرة النابغة الذبياني، في أرجاء الأدب القديم، قصيدته المطولة، المعروفة باسم **المتجردة** والتي تجرأ بها، فوصف زوج النعمان ملك الحيرة، وهي شبه متجردة من ثيابها، وقد تجاوز كل محظور، وأطاع حواسه المفتونة بمعالم الروعة الأنثوية .

---

(١) المعلقات: معلقة عمرو بن كلثوم .

– الكاشح: المضمر العداوة في كبده .تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية وأمنت الأعداء .

– العيطل:الناقة الطويلة العنق . الأدماء:البيضاء .ا لبكر:الفتية . الهجان: الأبيض الخالص البياض . لم تقرأ جنينا: لم تحمل في رحمها ولدا .

– حصانا: مصونا . اللدن: اللين .سمقت:ارتفعت . الرادفتان: فرعا الأليتين . الولي: الحمل . وهذا تصوير مثالي لقامة المرأة وردفها .

– المأكمة: رأس الورك . الكشح:الحضر .

– البلنط: العاج . السارية: الأسطوانة .

لقد حشد النابغة أعظم إمكاناته كمصور، وناحت، ومتأمل، وناظم لدرر الجمال والأنوثة، وكملحن يكشف أنغام الفتنة في الجسد المتجرد، ويرسم خطوطه الموسيقية المنغمة بدقة هاو أصيل .

فإذا بالمتجردة تقوم أمام الناظر، وكأنها حقا، دمية عاج منحوتة، حتى أن الشاعر لم ينس أن يصور كيف رفع النهد الثوب عاليا، هكذا ليسقط كالهالة حول الجسد القائم وراء شفوفه .

ثم كانت انبثاقة الجسد من بين سجفي كلّة، كالشمس يوم طلوعها، أو كدرة خرجت من الصدفة . وتأتي هذه اللوحة الحركية، عندما يحكي الشاعر كيف سقط النصيف، دون أن تريد إسقاطه، وكيف حاولت ان تخفي فتنتها بكفها وأنملها وكان الأنمل عنصر فتنة إضافية جديدة، وصفه الشاعر، فقال: إنه " يكاد من اللطافة يعقد".

ويعرض النابغة في مقطع من مقاطع القصيدة إلى الراهب الأشمط الذي يخضع لجمالها، دونما اكتراث لعقله، فكأن الشاعر يعطي لنفسه المبرر الأخلاقي الذي يجعله يتعبد للجمال . واستمع إلى أعذب الألحان التي عزفها نابغة بني ذبيان [1]:

نظرت بمقلة شادن متربب أحوى أحم المقلتين مقلد

---

(١) ديوانه: ٩٣-٩٧ .

- الشادن: الشاب من الظباء . متربب: محفوظ مصون . أحوى:فيه حمرة إلى سواد . أحم: اسود .مقلد: الذي قلد الحلي، وزين بها .
- النظم: العقد الذي تلبسه . يقول: إنها زينت عنقها بعقدمن ذهب يتوهج توهج الكوكب المتوقد المتسعر .
- السجف: الستر الرقيق . الاسعد: يروج الشمس والقمر ومنازلهما .

يقول: كأن ظهورها من وسط الستر الذي يغطى الكلة كالشمس وقت طلوعها في بروجها .

- الدرة: اللؤلؤة . يهل: يرفع صوته بالتكبير .
- تشاء: ترفع بالشيد . يقول: كأنها تمثال من المرمر شيد بالآجر والخزف .
- النصيف: الخمار . العنم: شجر لين الأغصان . والبيت فيه إقواء .
- الراهب: المتعبد . أشمط: أشيب . صرورة: متبتل، لم يرتكب ذنبا .
- رنا: أدام النظر مع سكون الطرف . يرشد: يكون في كمال العقل والصواب .

والنظم في سلك يــزين نحرها ذهــب توقد كالشهاب الموقد
قامت تــراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
أو درة صــدفيــة غواصهــا بهــج متى يرها يهل ويسجد
أو دمية من مرمــر مرفوعة بنيــت بآجر تشــاد وقــرمد
سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتــناولتــه واتقتنــا باليــد
بمخضب رخص كــأن بنانــه عنم يكاد من اللطافــة يعقــد
نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العــود

إلى أن يقول:

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبد الإله صــرورة متعبــد
لــرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشدا وان لم يرشــد

وعبيد بن الأبرص لا يرى في المرأة إلا مفاتنها الحسية، يقول [١]:

وقــد تبطنــت مثــل الرئم آنسة رؤد الشبــاب كعابــا ذات أوضــاح
تدفي الضجيع إذا يشتو وتخصره في الصيف حين يطيب البرد للصاحي
تخال ريق ثناياها إذا ابتسمــت كــمــزج شــهــد بأتــرج وتفــاح
كــأن سنتهــا في كــل داجيــة حين الظــلام بهيــم ضــوء مصباح

وهو يربط بين متعتين: متعة الخمرة، ومتعة الجنس في آن واحد يقول [٢]:

ولهوة كرضاب المسك طال بها في دنهــا كــر حول بعد أحوال
باكرتها قبل ما بدا الصباح لنا في بيــت منهمر الكفين مفضال
وعبلة كمهــاة الجــو ناعمــة كأن ريقتهــا شيــبت بسلســال

---

(١) ديوانه: ص ٥٠ .

تبطن المرأة: ضاجعها . الرئم: الظبي الأبيض . الآنسة: طيبة النفس . الرؤد: الشــابة .الكعــاب: التــي نهــدت .الأوضاح: المفرد: وضح وهو الحلي من الفضة .تخصره: تبرده .الصاحي: ضد السكران .

(٢) ديوانه: ص ١١٠ .

اللهو: الخمرة . الرضاب: الريق . الدن: راقود الخمر العظيم . العبلة: المرأة السمينة . السلسال: الخمر .

قد بت ألعبها وهنـــا وتلعبنـــي ثم انصرفت وهي مني على بال

وهو لا يتحرج من ذكر ما يحدث بينه وبين المرأة من فعل أو كلام، يقول [١]:

فبما أدخل الخباء على مهـــــ ـــضومة الكشح طفة كالغزال

فتعاطيـــت جيـــدها ثم مالت ميلان الكثيب بيـــن الرمـــال

ثم قالت فدى لنفسك نفســـي وفـــداء لمـــال أهلـــك مالـــي

٢ـ الغزل العذري:

ومع أن السمة العامة للغزل الجاهلي كانت الناحية الحسية، من وصف الجســد وتصوير المفاتن، على نحو ما مرّ، فإننا مع هذا نجد مَنْ تنبه إلى ان المرأة ليســت جمالا جسديا فحسب، بل هي كذلك متعة روحية ترتاح النفس إلـــى جمـــال حـــديثها، وصفاتها المعنوية . ولعل هذا ما دفع الدكتور الحوفي إلى التأكيد على أن هذا الضرب من الغزل قد نشأ في العصر الجاهلي [٢] ، وأورد على ذلك نماذج خالصـــة للحـــب الخالص، لا شيء فيها سوى الغزل .

ويمتاز غزل هؤلاء الشعراء بروحانيته، وعفته، وبعده عـــن الاغـــراق فـــي الوصف الحسي للجسد، واحتفاله بالأشواق الملتهبة، وتحليلـــه للـــنفس وخوالجهـــا، وتصويره لحرقة الشوق، ولذع الحرمان .

وقد أخلص هؤلاء الشعراء المتيمون لمحبوباتهم إخلاصا شديدا، وقضى كـــل واحد منهم حياته كلها، وقلبه يخفق بحبيبة واحدة، لم يتحول عنها إلى غيرها، وتحمل في حبها أهوالا أضنته، وأذهلته .

---

(١) ديوانه: ص ١١٤ .

المهضومة: الضامرة . الكشح: ا لخاصرة . ا لطفلة: الرخصة . الكثيب: التل من الرمال .

(٢) د . أحمد الحوفي:الغزل في العصر الجاهلي، ١٨١ .

وانظر أيضا: محمد عبد العزيز الكفراوي: الشعر العربي بين الجمود والتطور، ص ٥٥ وما بعدها .

ومن الشعراء الذين بدت عواطفهم تجاه المحبوبة حارة مميزة المرقّش الأكبر حين باح للفن الشعري بما يكنه قلبه، وبما تخفيه جوارحه، من هيام شديد، وحب جارف، ينزعان به نحو أسماء التي تيمته بهواها، وشغلت نفسه بغرامها، فكانت هذه الإنطلاقة الوجدانية، التي حملت الحان تجربته العاطفية ونشرتها بين أجواء الصحاري، وأنعشت قلوب أجيال من فتيان العرب – تضج للحب، وألم التضحية، والحنين إلى ارتواء لن يتم أبدا [1]:

أغالبك القلب اللجوج صبابة وشوقا إلى أسماء أم أنت غالبه ؟

يهيم ولا يعيا بأسماء قلبه كذاك الهوى إمراره وعواقبه

أيلحى امرؤ في حب أسماء قد نأى بغمز من الواشين وازور جانبه

إذا ذكرتها النفس ظلت كأنني يزعزعني قفقاف ورد وصالبه

وقد يصور الشاعر ما ينتابه من مشاعر عندما تعصف رياح الفرقة بينه وبين محبوبته، كما هو الشأن لدى قيس بن الحدادية الذي فجأه رحيل محبوبته "نعم" فانبرى يرسم لوحة شعرية، مضمنا إياها ما شعر به من هموم وأحزان، وما تعاور قلبه من لوعة وأسى، وما انتابت عيونه من عبرات حرى لوشك البين، وألم الفراق، فيقول [2]:

وما خلت بين الحي حتى رأيتهم ببينونة السفلى وهبت سوافع

كأن فؤادي بين شقين من عصا حذار وقوع البين والبيْن واقع

يحث بها حاد سريع نجاؤه ومعرى عن الساقين والثوب واسع

فقلت لها: يا نعم حلي محلنا فإن الهوى، يا نعم، والشمل جامع

---

(١) الأغاني (دار الكتب) ١٣٤/٦ .

(٢) المرجع السابق: ١٥٨/١٤ .

– بين: فراق . بينونة: موضع . السوافع: لواقح السموم أو الشمس .

– يحث: يسرع: نجاؤه:سرعة سيره .معرى: مكشوف .

– أمعن الماء: سال وجرى . السحيق: ا لمسحوق .

فقالت وعيناها تفيضـــان عبـــرة بأهلي بيّن لي متى أنـــت راجـــع

فقلت لها: تالله يـــدري مسافـــر إذا أضمرته الأرض:ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأمعن بالكحل السحيـــق المدامـــع

واني لعهد الـــود راع واننـــي بوصلك، ما لم يطوني الموت طامع

ويعد علقمة الفحل احد الشعراء الذين استطاعوا أن ينقضوا ذلك الزعم القائل إن الغزل عند شعراء الجاهلية هو غزل مادي حسي، وهو ينقض هذا التعميم بهذا الغزل الرفيع، بتلك الصفات الفاضلة التي يضفيها على محبوبته .

فهو حين يتغزل يسمو بهذا الغزل إلى درجات عليا من السمو والعفاف، وهـــو بهذا يعد أحد قلة ممن سموا بغزلهم، وهو يختلف عن أولئك الذين رأوا في المرأة أداة للهو والمتعة، بل إنه يرتفع بمكانة المرأة إلى درجة أنها لا تمس، فصفات محبوبتـــه التي استخلصها من تلك القيم التي تعلو بالمرأة، وتقدر لها مكانتهـــا، تـــوحي بخلـــق الشاعر الذي يرتفع عن التبذل، والتهتك . فالأمانة والاخلاص، ومكارم الأخلاق من عفة، وصون، وبُعد عن الريبة هي أخلاق محبوبته، التي يصورها علقمة مكفيـــة لا يستطاع الوصول إليها، لأن أهلها يمنعونها من أن تزار، أو يتحدث إليها، وهو بهذا يصور لنا مواقف الأسرة المحافظة التي لا تسمح لابنتها بالخروج، ومقابلة الأغراب، فهي [١]:

منعمة لا يستطاع كلامها على بابها من أن تزار رقيب

وهي إلى جانب ذلك وفية مخلصة، إذا غاب عنها زوجها ظلت حافظـــة لعهـــده، لا تخونه، ولا تهتك سره، وإذا ما عاد إليها أرضت إيابه بطاعتها وحســـن معاشـــرتها، فيقول [٢]:

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضي إياب البعل حين يؤوب

---

(١) ديوانه: ص ٣٣.

(٢) نفسه: ٣٣.

وهو يصورها دائمة محتشمة، لم تر يوما مبتذلة، إنما تصون جمالها وسحرها عن العيون، فإذا ما تراءت من خلف الأستار، وفي غفلة من الرقيب استطاع ان يقترب، وينظر، فماذا يرى ؟ انه لا يرى ما يعيب، ولا يحدث نفسه بذلك، بل يرى هاتين العينين الواسعتين، ودموع الشوق والوجد تملؤها، إنه يرى هذا المنظر الحنون، ويسمع دقات قلبه المشوق، فأي وصف أجمل وأرفع ؟ وأي نفس تلك التي تسمو، وتصفو فتصدر ذلك الايقاع الرقيق الصافي الذي يبهج النفس، ويشعر بالألفة، ويمس شغاف القلب مسا هينا لينا، ولنستمع إليه [١]:

تراءت وأستار من البيت دونها إلينا وحانت غفلة المتفقد

بعيني مهاة يحدر الدمع منهما بريمين شتى من دموع وإثمد

وهي دائما وقورة محتشمة، لا تخرج منفردة، وإنما تظل في حيها، وذلك أحفظ لها، فيقول [٢]:

وفي الحي بيضاء العوارض ثوبها إذا ما اسبكرت للشباب قشيب

فهي لا تغادر الحي، وهو يكرر دائما قوله: " كأنها رشأ في الحي ملزوم " ولنستمع إلى ذلك الحديث الذي دار بينه وبينها عندما التقيا فجأة، إنه حديث طاهر حيّ، لا نسمع فيه ما يخدش الحياء، يقول [٣]:

كأن ابنة الزيدي يوم لقيتها هنيدة مكحول المدامع مرشق

تراعي خذولا ينفض المرو شادنا تنوش من الضال القذاف ونغلق

وقلت لها يوما بوادي مبايض ألا كل عان غير عانيك يعتق

---

(١) المهاه: بقر الوحش .بريمان أي بلونين مختلفين . الأثمد: الكحل .

(٢) ديوانه: ١١٧ .

(٣) نفسه: ١٢٧ .

مرشق: من أرشقت المرأة والمهاة إذا أحدت النظر . تراعي: تلاحظ . الخذول: ولد الظبية الذي تخلف عنها . الشادن: ولد الظبية الذي قوي وطلع قرناه . المرو: ثمر الأراك .تنوش: تتناول . الضال: السدر البري . القذاف: ما أطاقت تناوله .

يصادف يوما من مليــك سماحة فيأخذ عرض المال أو يتصدق

أما الشنفرى الأزدي فقد رسم لنا في تائيته صورة لزوجة فاضلة " يكشف فيهــا عــن حس رجل عصري بالمرأة، العفة الجميلة، الحاملة لخصائص ســيدة مــن مدنيـــة متقدمة [١] " .فاستمع إلى هذه الألحان التي عزفها لزوجه [٢]:

فيا جارتي وأنت غيــر مليمــة إذا ذكــرت ولا بــذات تقلّــت

لقد أعجبتني لا سقوطــا قناعها إذا مــا مشــت ولا بذات تلفت

تبيت بعيد النوم تهدي غبوقهــا لجارتهــا إذا الهديـــة قلــت

تحل بمنجــاة مــن اللــوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمّــة حلـــت

كأن لها في الأرض نسيا تقصه على أمها وإن تكلمــك تبلـــت

أميمة لا يخزي نثــاها حليــها إذا ذكــر النسوان عفت وجلت

إذا هــو أمســى آب قرة عينه مآب السعيد لم يسل أين ظلــت

فدقت وجلّت واسبكرتْ واكملتْ فلو جن إنسان من الحسن جنت

والشاعر لم يتحدث عن جمال الجسم إلا في البيت الأخير، إذ أشار فيه إلى أنها حسنة الخلق جميلة، وجمالها يفوق الوصف . ولكنه فــي الأبيــات الســابقة يعجــب باخلاقها، وصفاتها وشمائلها، فليس من أفعالها ما تستحق عليه أدنى لوم، وليس في طبيعتها وأخلاقها ما يغضب الآخرين، وهي تمتاز بالحياء، والحشمة والأدب، إذا ما مشت فإنها تحافظ على قناعها، ولا تتلفت في أي اتجاه، وهي كريمة الــنفس تــؤثر جيرانها على نفسها، وتحافظ في إهدائها على كرامة من تقدم له الهدية، فتقدم أعز ما لديها لجارتها، في وقت لا يراها فيه أحد، وبيتها كله طهارة وشرف، فهي تتصــف بالعفة والنقاء، وفي منتهى البعد عن أدنى شبهة، أو ظن، ويبدو حياؤها واضحا في مشيها، فهي إذا مشت لا تنظر إلا أمام قدمها، كأنها من شدة حيائها تبحث عن شيء

---

(١) موسوعة الشعر العربي: م١ /٧٩ .

(٢) المفضليات: المفضلية رقم ٢٠ ص ١٠٩ .

ضاع منها، ولا تتحدث عن زوجها إلا بكل ما يصوره عظيما كريما . وسيرتها مشرفة، والحديث عنها يرفع هامة زوجها، ويزيده شرفا وهي في معاملتها لزوجها في منتهى الكمال، لا تبرح بيتها إلا بعلمه، وتتحرى ما يرضيه، وتعامله في غيبته كما لو كان موجودا، وعند عودته إليها يعود وقلبه متلهف لرؤيتها . وقد قال الأصمعي: هذه الأبيات أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن [1]

---

[1]- المفضليات: ص ١٠٩ الهامش .

مليمة: تأتي ما تلام عليه، فنسبب اللوم لنفسها . تقلت: تبغضت .

- لا يسقط قناعها لشدة حيائها . ولا بذات تلفت: لا تكثر التلفت، فإنه من فعل أهل الريبة .

- العنبوق: ما يشرب بالعشي .تهديه لجارتها، أي تؤثرها به لكرمها . إذا الهدية قلت: أي في الجدب حيث تنفد الأزواد، وتذهب الألبان ويقل الغذاء .

- تحل: تسكن . منجاة: من النجوة، وهي الارتفاع، ويقصد أن موطنها شريف بعيد عن الشبهة .

- النسي: الشيء المفقود المنسي . تقصه: تتبعه وتبحث عنه . أمها: قصدها الذي تريده . يقول: من شدة حيائها إذا مشت تنظر إلى أسفل كأنها تبحث عن شيء فقدته، ولا ترفع رأسها . تبلت: تنقطع في كلامها، ولا تطيله .

- النثا: ما تتحدث به عن الرجل . حليلها:زوجها .

- آب: رجع .

المبحث الثاني
أغراض شعر جميل

الأغراض التي كتب فيها جميل بثينة تمثل في غالب الأمر في الغزل ومن الجدير بالذكر أنه ورد في ديوان جميل بعض الأغراض الأخرى منها:

الفخر: وفيه وردت أبيات نسير أمام الناس فخر لقومه:

ونحنُ منعنا يومَ أولٍ نساءنا،
ويومَ أفيٍّ، والأسنةُ ترعفُ[١]
ويومَ ركايا ذي الجداةِ، ووقعةً
ببنيانَ كانت بعضَ ما قد تسلّفوا[٢]
يحبُّ الغواني البيضُ ظلَّ لوائنا
إذا ما أتانا الصارخُ المتلهّفُ[٣]
نسِيرُ أمامَ الناسِ، والناسُ خَلْفَنا،
فإن نحنُ أمأنا إلى الناسِ، وقّفوا
فأيُّ معدٍّ كان فيءَ رماحهم
كما قد أفأنا، والمُفاخِرُ يُنصِفُ[٤]
وكُنّا إذا ما مَعشَرٌ نصَبوا لنا،
ومرّتْ جواري طيرهمْ، وتعيّفوا[٥]

---

(١) أول: واديين اليمامة ومكة. ويوم أول ويوم أفي يومان من أيام العرب. ترعف: تنزف دماً

(٢) الركايا: مفردها الركية وهي البئر المليئة بالماء. ذو الحداء: موضع في بلاد عطفان. بنيان: موقع باليمامة

(٣) الغواني: مفردها الغانية وهي الفتاة التامة الخلق والتي استغنت بجمالها عن كل زينة

(٤) معد: قبيلة عربية تعتبر أم القبائل العدنانية. الفيء: الغنيمة

(٥) نصبوا: أقاموا العداء. تعيفوا: زجروا الطير فإذا طارت إلى جهة اليمين كانت دليل خير وإذا طارت إلى اليسار كانت نذير شوم

وضعنا لهـم صـاعَ القصـاصِ رهينـةً ،

ونحـنُ نُوفّيهـا، إذا النـاسُ طفّفُـوا[١]

إذا اسـتبقَ الأقـوامُ مجـداً، وجـدتنا

لنـا مغرفـا مجـدٍ، وللنـاس مغـرفُ[٢]

الهجاء:

وهو ذكر مساوي الشخص ورد فيه:

إنّ أحَـبّ سُـفَّلٌ أشـرارُ،

حُثالـةٌ، عـودُهمُ خَـوّارُ[٣]

أذلُّ قـوم، حـينَ يُـدعى الجـارُ،

كمـا أذَلَّ الحـرثَ النخّـارُ[٤]

وأيضاً لا تغضبوا من قسمة الله في هجاء الشماخ بن ضرار الغطفاني:

أبـوكَ حُبـابٌ، سـارقُ الضـيفِ بُـردَه،

وجـديَّ، يـا شـماخُ، فـارسُ شـمرا[٥]

بنو الصـالحينَ الصـالحونَ، ومـن يكـنْ

لآبـاءِ سَـوءٍ، يَلقَهُـمْ حيـثُ سُـيّرا

فـإن تغضـبوا مـن قسـمةِ اللهّ فـيكمُ،

فَلَلّـهُ، إذ لـم يُرضِـكُمْ، كـان أبصَـرا

وأيضا يا ابن الأبيرق في هجاء الابيرق العتبي الذي تعرض لوالد جميل:

---

(١) الصاع: من المكاييل. طففوا: لم يفوا الكيل

(٢) شرح ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص٥٧

(٣) حثالة القوم: الرديئون ومن لا خير فيهم. الخوار: الضعيف

(٤) النخار: الضعيف الخاوي

(٥) حباب: جد الشماخ حل عليه ضيفاً فسرق ثيابه وخرج الضيف عرياناً. شمر: فرس معمر جد جميل

يا ابــن الأبَيــرِقِ، وَطْــبٌ بِــتَّ مُســنِدَه

إلى وسادكَ، مــن حــمّ الــذرى جــونِ[١]

وأكلتــــانِ، إذا مــــا شــــئتَ مرتفقــــاً

بالســيرِ، مــن نَغِــل الــدَّفَّينِ مَــدهُونِ[٢]

اذكــرْ، وأمّــكَ منــي، حــين تنكبنــي

جِنّي، فيَغلِــبُ جِنّــي كــلَّ مجنــون[٣] [٤]

---

[١] الوطب: الوعاء الذي يسقي به اللبن. الكم السود. الذري: مفردها الذروة وهي سنام البعير. الجون: السود

[٢] المرتفق: الذي يستند على مرفقه. النغل: الجلد الذي فسق من الدبغ. الدفين: واحــدها الــدف وهــو الجانــب. المدهون: المصبوغ والمدبوغ.

[٣] أمك مني: أي من بني عذرة. الجني: شيطان الشعر.

[٤] شرح ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص٨١ – ٨٢

المبحث الثالث

الغزل عند الشاعر جميل

معنى الغزل، النشأة والتطور والاستقلال:

يقول تعالى في محكم التنزيل: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ).[1]

هذا الآية تبين أن المرء قد جبل وفطر على حب النساء والميل إليهن وإلى كل شهوات الدنيا. هذه الشهوات مستقرة في نفوس الناس ومستمرة باستمرار الحياة حيث فطر الرجل على الميل للنساء كما هو العكس، والتي اقتضتها حكمة الله لضمان البقاء الإنساني وحفظه للغاية الأساسية وهي عبادة الله في الأرض وقد هذب الإسلام هذه الفطرة ووجهها وجهتها الصحيحة السليمة. يقول الدكتور السيد الجميلي: (,الحب له من نزوات وشدة ما لا يخفى على أحد من جنس بني الإنسان فعهده قديم قدم الحياة، فإن الحياة من غير حب فقر ومحال ووجود كئيب لا معنى له فإن الحب العفيف الشريف الطاهر هو الحياة.

ولا أتصور أبداً أن ثمة كياناً لم يمارس الحب بأية صورة، ولكن ما نبغيه وننشده أن يكون حب الله هو قوام كل الملكات الإنسانية في كل جارحة من جوارح الإنسان، كما أن حب المرأة لابد أن يكون عفيفاً شريفاً طاهراً موافقاً لشريعة الله متوخياً الزواج الذي هو مقصد أسمى وغاية شريفة).[2]

---

[1] سورة آل عمران الآية ١٤

[2] روضة المحبين لابن القيم الجوزية، ط١، بيروت، دار حزم ٢٠٠٣م، ص٩

فالحب قديم قدم الإنسانية وتاريخه يرجع إلى بدء خلق آدم وحواء والتآلف بين الرجل والمرأة لم يكن اليوم، وحنين الرجل للمرأة لا يشك فيه أحد.[١]

وهذا ما يختص بالغزل كواقع عاشه السلف ونحياه نحن وسوف يعيشه الخلف.[٢]

وإذا أردنا التعريف بالغزل عموماً نجد أن معناه الاصطلاحي يعني الميل إلى النساء وإلفهن والتودد إليهن فقد ورد في لسان العرب: (...والغزل حديث الفتيان والفتيات ويقول بن سيده: اللهو مع النساء).[٣] وفي المعجم الوسيط ورد:

(غزل غزلا: شغف بمحادثة النساء والتودد إليهن فهو غزل)

غازل المرأة حادثها وتودد إليها.

تغزل: تكلف الغزل ويقال تغزل بالمرأة.[٤]

وفي كتاب العمدة لابن رشيق ورد هذا القول:

(والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد.. وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن).[٥]

ومثل ذلك قال الكفراوي في كتابه تاريخ الشعر العربي حيث تحدث عن الغزل قائلا: (هو التحدث إلى النساء، وكما يكون بالعبارة القصيرة العابرة يكون بعبارة أدبية أحسن صوغها وهذبت حواشيها، والنوع الأخير هو موضوع حديثنا).[٦]

ولقد كثر الحديث عن الغزل وضروبه، وعن مسبباته والكيفية التي يكون عليها وكيف يبدأ؟ هل هو اختياري أم اضطراري؟ وما هي أخطاؤه؟ نجد في كتاب ابن قيم الجوزيه حيث قال عن خطورة الحب: (بل إن كثيراً من الأمراض النفسية والهستيرية

---

(١) نفس المرجع، ص٢١٥

(٢) الشعراء العشاق، مرجع سابق، ص١٦

(٣) لسان العرب، مرجع سابق، ص٤٩٢

(٤) المعجم الوسيط، ط١، بيروت دار بن حزم، ٢٠٠٣م، ص٩

(٥) العمدة، مرجع سابق، ص١١٧

(٦) تاريخ الشعر العربي، مرجع سابق

يكون نتيجة حتمية للصدمات الكهربائية العاطفية عند الشاب المراهق عندما يعتــرض الحب طريقه فيحتويه ويسلم قيادة بغير نصير من العقل أو الفهم أو الدين).[1]

وقد ترجم هذا المعنى قديماً العباس بن الأحنف شعراً حين قال:

ويح المحبين ما أشقى نفوسهم

إن كان مثل الذي بي بالمحبينا

يشقون في هذه الدنيا بعشقهم

لا يرزقون به دنيا ولا دينا

والعياذ بالله إن كان هذا هو حال العاشقين لأجل ذلك نجد ان ابن قيم الجوزيه قال: (فنقول: العشق لا يحمد مطلقاً ولا يذم مطلقاً وإنما يحمد ويذم باعتبار متعلقــة، فــإن الإرادة تابعة لمرادها والحب نابع للمحبوب فمتى كان المحبوب مما يحــب لذاتــه أو وسيلة توصله إلى ما يحب لذاته، لم تذم المبالغة في محبته بل تحمد وصلاح المحــب كذلك بحسب قوة محبته).[2]

وبما أننا في معرض التحدث عن الغزل العذري والعفيف الذي اشتهر بالعفة والتي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده وكانت من الخصال التي يعتد بهــا الإنسان العربي واشتهر بها بعض شعراء الغزل منذ العصر الجاهلي وكونوا أول لبنة لهذا النوع من الغزل، ثم رفع لوائه بنو عذرة حتى التصق بهم لما عرفوا به من عفة وعذوبة تتلاءم والغزل بصفة عامة والعفيف منه بصفة خاصة، يقول ابن رشيق فــي العمدة: (حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعاني سهلها غيــر كــز ولا غامض. وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى لين الإيثار، رطب المكســر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين).

---

[1] روضة المحبين، مرجع سابق، ص٢١١

[2] روضة المحبين المقدمة من كلام للسيد الجميلي محقق الكتاب

وهذه هي الصفات التي تجعله مقبولاً متمكناً في نفس المتلقي فيستجيده ويستحسنه، وشعراء الغزل العذري قد اتجهوا هذا الاتجاه وبخاصة جميل بثينة إذ تكاد ألفاظه من السهولة تكون نثراً وفي الشعر يتخير ألين الألفاظ وأسهلها.

وهكذا استمر تطور الغزل منذ الشعر الجاهلي إلى أن صار مشهوراً في عهد بني أمية بين قبيلة عذرة عامة وجميل بثينة خاصة. [1]

أحسن الغزل:

كان العرف الشائع بين نقاد الغزل في الشعر العربي إلى عهد قريب أن أحسن الغزل هو ما حسن فيه وصف المحبوب وأربى على الغاية في إسباغ المحاسن فيه.

فمن جعل محبوبه عصمة في الجمال لا يمسه نقص ولا يلحق به عيب فهو أغزل ممن وصفه فظهر من وصفه إياه أنه معين في بعض نواحي خُلقه وخلقه، ومن قال أن محبوبه كالشمس أغزل ممن قال فيه أنه كالبدر أو كوكب من كواكب الليل التي لا تبلغ مبلغ البدر والشمس في الإشراق والجمال.

وهذا كما يرى من النظر اليسير خلط ذريع بين أمور كثيرة: خلط بين الاستحسان والعشق وهما مختلفان؛ لأن الاستحسان قد يأتي من العاشق وغير العاشق، ولا يلزم من عشق الرجل امرأة من النساء أنها في نظره أجمل من كل امرأة رآها. فربما عرف عيوبها وعرف محاسن غيرها فأحبها بعيوبها ولم يحبب صاحبة المحاسن المفضلة في عينيه.

وخلط بين هوى الشخصية وهوى الصفات. فمن شروط العشق الأول أنه يميز للعاشق شخصية واحدة بين جميع الشخصيات التي يراها.

---

[1] العمدة، مرجع سابق، ص١١٦

فمن المحقق إذن أن أحسن الغزل ليس هو أحسن الثناء على المحبوب، وقد يكون غزلاً جيداً – أو شعراً غرامياً جيداً – وفيه هجو وإقذاع فالمدرسة التي تجعل الثناء والاستحسان مقياس الإجادة في الغزل تجهل الغزل الجيد وتخلط بين جميع الأمور.

وهناك مدرسة أخرى تجعل الرقة والمبالغة مقياساً للغزل والمتغزلين فالذي يبكي الليل والنهار أغزل ممن يبكي الليل ويكفكف دمع بالنهار والذي يتذلل ويتضرع أغزل من الذي يثور ويتبرم، والذي يشبه المرأة في كلامه معها هو على مذهبهم أصلح الرجال لعشق النساء.[١]

بعض النماذج في شعر الغزل لجميل بثينة:

حياة بعد الموت "البحر الوافر"

ومـــا بكـــتِ النســـاءُ علـــى قَتيـــلٍ
بأشـــرفَ مـــن قتيـــلِ الغانيـــات
فلمّـــا مـــاتَ مـــن طَـــرَبٍ وسُـــكْرٍ
رددنَ حياتـــــه بالمســـــمعاتِ![٢]
فقـــامَ يجُـــرّ عِطفَيـــهِ خُمـــاراً
وكـــان قريـــبَ عهـــدٍ بالممـــاتِ[٣]

أفاق العاشقون ولم تفق "البحر الطويل"

أفـــقْ، قـــد أفـــاقَ العاشـــقونَ، وفـــارقوا
الهوى، واســـتمرّتْ بالرجـــالِ المرائِـــرُ[٤]

---

[١] ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص٤٨ – ٤٩

[٢] المسمعات: مفردها المسمعة وهي الجارية المعفية

[٣] عطفاه: جانباه. الخمار: السكر

[٤] المرائر: مفردها المريرة وهي العزيمة وقوة الاحتمال

فقـــد ضـــلّ، إلاّ أنْ تقضـــي حاجـــةً

ببـــرقٍ حفيـــرٍ، دمعـــكَ المتبـــادرُ[1]

وهبهـــا كشـــيءٍ لـــم يكـــنْ، أو كنـــازحٍ

بـــه الـــدارُ، أو مـــن غَيّبَتْـــهُ المقـــابرُ

أأللحَـــقُّ، إن دارُ الرّبـــابِ تَباعـــدتْ،

أو أنَ شـــطّ ولـــيٌ، أنّ قلبـــكَ طـــائرُ[2]

لعمريَ، مـــا اســـتودعتُ ســـريَ وســـرها

ســـوانا، حـــذاراً أن تشـــيعَ الســـرائرُ

ولا خاطبتْهـــــا مُقلتـــــايَ بنظـــــرةٍ،

فـــتعلمَ نجوانـــا العيـــونُ النـــواظرُ

ولكـــن جعلـــتُ اللحـــظَ، بينـــي وبينهـــا

رسولاً، فـــأدّى مـــا تَجُـــنّ الضـــمائر[3][4]

---

[1] برق حفير: موقع كثير الحجارة

[2] الرباب: اسم امرأة وربما تكون بثينة نفسها انسجاما مع المعاني التي سترد لاحقا. شط: ابتعد. الولي: القرب

[3] تجن: تخفي وتستر

[4] شرح ديوان جميل، مرجع سابق، ص١٧، ٣٣

المبحث الأول
اللغـة والأسلــوب

وإذا ما ذهبنا نلتمس الخصائص أو السمات الفنية في القصـــيدة الغزليـــة أو شـــعر جميل بالتحديد فلابد من الوقوف على الآتي:

١/ الملامح الأسلوبية:

إذا كان الشعر مرآة لنفوس قائليه وانعكاساً لطبائعهم وأهـــوائهم. فـــإن شـــعر العذري أو جميل على وجه الخصوص يُعد نموذجاً فريداً لصـــفاء العبـــارة وإشـــراق الديباجة ووضوح التراكيب؛ فأسلوبه رائق لا يشوبه الدر، واضح لا يفســـره التعقيـــد والالتواء لانا من الطبائع السمحة أن يترجم عنها أسلوب سهل رقيق. كما أن من شأن الطباع الجافية الغليظة أن يعبر عنها بأسلوب كثير الالتواء شديد التعقيد.

ومن يطالع نماذج الغزل العذري لدى جميل، يراها بعيدة عن التعقيد والغموض وضعف التأليف، كما يراها دانية القطوف، لقرب مأتاها ويسر تناولها، وقد توسل فـــي صياغته بوسائل فنية كلفت لأساليبه في هذا القدر من الجمال والسلاسة نجملهـــا فيمـــا يلي:

أ/ براعته في حشد كثير من الألفاظ ذات الدلالات والايحاءات الشعورية التي تصـــور حاله وما يكابده من الشوق والحنين وكثرة البكاء والشجن والأنين، وغيـــر ذلـــك مـــن الألفاظ المشعة الموحية بالصيام والوجع والضنى والانين والنرفرات والأنات والشجن والعويل والفرقة والنوى[١].

ب/ مهارته في استخدام الألفاظ وسلكها في نظامها ووضعها في الإطار الملائم لهـــا. بحيث تنهض بدلالاتها اللغوية أتم نهوض وتقوم بدورها الفني في أتم قيام. ولهذا أكثـــر من أساليب الإنشاء وبخاصة الأمر والاستفهام والتمني والنداء، كما أكثر مـــن الندبـــة

---

(١) الغزل العذري في العصر الأموي للدكتور حسن عبد القادر مصطفى، ص١٩١، وما بعدهما وتطور الغـــزل بين الجاهلية والإسلام شكري فيصل، ص٢٨٦ – ٢٩٣

والقسم والحوار ولكل من هذه الأساليب دلالاته البلاغية والنفسية وإيحاءاته الغنية بشتى المشاعر والانفعالات التي تموج بها نفسه وتفيض بها خواطره.

ج/ تكرار بعض الألفاظ التي لها دلالة نفسية عند الشاعر، والتكرار ظاهرة عامة عند العذري، إما لاهتياج مشاعره واضطراب خواطره وإما لشدة شوقه إلى محبوبته، فيجد في تكرار الاسم ضرب من الراحة ولون من التلذذ والمتعة.

ولهذه السلاسة في أسلوب جميل بثينة تشتمل على عناصر فنية لا تتوافر في غيره من الأساليب وهذه العناصر تتمثل فيما يأتي:

أولها: هذا الإحساس الصادق الذي يشيع في أساليبه والشعور المتدفق الذي يكسب هذه الأساليب القدرة على التأثير.

ثانيها: هذا الرقة والسلاسة، وهذا الوضوح والإشراق والصفاء الذي قلنا: إنها صورة لإشراقه النفسي وصفائه الروحي وحسه المتوقد وطبيعته الشاعرية وخواطره المضطرمة بنار الوجد وحرارة العاطفة.

ثالثها: هذه الموسيقى الرائعة التي تصدر عن أوزانه الشعرية الشائعة وعباراته الموحية وجده النفسي ومعانيه التي تنساب في وضوح وإشراق الأسلوب اللذين يغلبان على أداء بعض القدامى وتبدي فيها فأكثر من ارتباطه بالنهج القديم في الصياغة؛ لكونه راوية هدية بن حشرم الذي كان راوية للحطيئة، فهو مشدود إلى القديم بآصرة قوية جعلته يتبدى في بعض أراجيزه وفي فخره وفي مقدمات الطلية.[1]

□

(١) قضية الحب العذري في شعر بني أمية، تأليف الدكتور العربي حسن درويش، كلية التربية، جامعة عين شمس، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن محمود وأولاده، ٩ شارع عربي باشا بالقاهرة، ص١٢٢

٢/ المعاني:

أما من حيث المعاني والأفكار، فقد دار غزل جميل العذري حول ما وجده وقسوة الوحدة وطول السهر وتفاقم المرض وتآمر الوشاة، وغير ذلك من معاني الحب ومثل هذه المعاني شائعة فهي فطرية فيها كثير من السذاجة والسطحية، وإن لم تفتقد الصدق وقوة التأثير إذ كان مهتاج الخاطر دائماً متوتر الشعور كثيراً، فكان في عرض معانيه أسير هذه العاطفة المهتاجة، لا يتأنق ولا يختار ولا يأتي بها وفق مقتضيات المنطق ومتطلبات العقل، وإنما يلقي أفكاره كيفما تهيأت ويعرضها حسبما جاءت وكيفما كانت؛ لأنه مهتم أولاً وأخيراً بمشاعره وعرض هذا الفيض النفسي الذي يموج في داخله ويهدر في أعماقه، لا يعنيه أين يقع هذا الكلام من الغير، لأنه لا يتوجه به إليه، وإنما يتوجه به إلى ذاته يحدثها ويفضفض عنها آلامها.

فهذا الغزل – في حقيقته – ترجمة ذاتية، هو حديث للنفس عن النفس بكل ما فيها من جوانب للقوة والضعف والتماسك والهوان، ولهذا كان أبرز ما يميزه الصدق، سواء كان صدق الشعور أو صدق التعبير؛ فالصدق الشعوري أو النفسي في عرض الأفكار يتمثل في تقديم العذري نفسه لنا كما هي بكل ما تحب وتكره وبكل ما تشتاق إليه أو تنفر منه. والصدق التعبيري أو الفني يتمثل في استجابة الشاعر لما يلقى في روعه دون تزويق أو تنميق.

ولكون هؤلاء العذريين يمتاحون من الإسلام ويصدرون في عواطفهم وسلوكهم عن آدابه وقيمه، فإن معانيه تأثر بالإسلام وامتاحت منه وقبست من نوره، على نحو ما صنع جميل الذي اتخذ من فكرة الحديث الشريف: (لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) منطلقا لمحاجة بثينة واستمالتها إليه، لتربط حبا لها به وتنعطف إليه. [١]

---

(١) قضية الحب العذري في شعر بني أمية، تأليف الدكتور العربي حسن درويش، كلية التربية، جامعة عين شمس، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن محمود وأولاده، ٩ شارع عربي باشا بالقاهرة، ص١٢٢

يقول جميل:

لا تهجرينـــــي يـــــا بثـــــين وأحســـــني

وخافي مليك النـــاس فـــي البـــر والبحـــر

فقـــد جـــاء قـــول عـــن رجـــال أتـــوا بـــه

وجـــاء بـــه ســـفيان حقـــا عـــن الزهـــري

وأخبرنـــــي بـــــه أيضـــــا غيـــــر واحـــــد

رووه بإســـناد عـــن الحســـن البصـــري

إذا هجـــــر الإنســـــان فـــــوق ثلاثـــــة

أخـــاه تـــولى الله عنـــه إلـــى الحشـــر

فيهلـــــك أن لا يســـــتعيدَ لمـــــا مضـــــى

علـــى الحـــد الـــذي لـــم يـــزل يجـــري

فيا عاذلي في الحب لـــم تـــدر مـــا الهـــوى

ولم تدر إذ لـــم تـــدر أنـــك لـــم تـــدري[1]

ويقول عن بثينة متأثراً بما جاء في سورة القدر:

هـــي البـــدرُ حســـناً، والنســـاءُ كواكـــبٌ،

وشـــتّانَ مـــا بـــين الكواكـــب والبـــدر!

لقد فضّـــلتْ حســـناً علـــى النـــاس مثلمـــا

على ألـــفِ شـــهرٍ فضّـــلتْ ليلـــة القـــدرِ[2]

---

(١) ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص١٠١

(٢) نفس المرجع، ص١٠٤

٣/ الموسيقى:

تميز شعر الغزل بعامة والغزل العذري لدى جميل بصفة خاصة بجمال الموسيقى وعذوبة الإيقاع، لأنه كان في جملته ترانيم ذاتية يتغنى بها الشاعر في عالمه الخاص ويتوجه بها إلى محبوبته يرجو رضاها وينشد مودتها. وأدل على هذا الجمال من انتشاره على الألسنة وإقبال المغنيين عليه، يتخذونه مادة للغناء وتوقيع الألحان. مع أنه لم يخرج – في جملته – عما ألفه الناس وتعودوا على سماعه من الجاهليين والإسلاميين في إطار القصيدة العمودية المعروفة. غير أن هذا الغزل لم يكن يستمد جماله من الوزن القافية فحسب. وإنما كانت له مصادر أخرى تمده بألوان من الجمال لا تقل في تأثيرها عن الموسيقى التقليدية المتوارثة.

وأول ما نلاحظه على موسيقاه التقليدية، أنه عمد إلى الأوزان الشائعة فأكثر منها وبخاصة الطويلة. وحرص على استواء الإيقاع وتجنب الزحافات والعلل التي تؤدي إلى خلخلة الإيقاع وعدم استوائه.

أما قوافيه فقد برع في تخيرها وتوظيفها وقلما تجد فيها إغرابا أو إعناتاً للنفس أو إغرام بالتفاصح وإنما تجد سهولة ويسراً وجمالاً لا يتطلبه السياق.

ويضاف إلى هذين العنصرين من عناصر الموسيقى. الوزن والقافية عنصر ثالث يضفي على أشعاره لوناً من الموسيقى الخفية؛ وهي براعته في تخير الألفاظ الموحية ذات الدلالات الشعورية الكاشفة ونظمها في أساليب عامرة بالحركة تقوم على الحوار الداخلي والخارجي. والتنويع بين الخبر والإنشاء؛ وذلك من شأنه أن يزيد من جمال الأسلوب ويمده بشحنة قوية من المشاعر الصادقة والانفعالات الحارة التي تعد من أبرز خصائص العذريين وأوضح سماتهم.

ولم يبلغ جميل بثينة ما بلغه من الوجهة الفنية البحتة؛ لما في شعره من تلقائية واضحة ولما في معانيه من بساطة ووضوح ولما في خياله من قرب شديد، فإن ما

فيه من المشاعر الإنسانية الصادقة فقد كفل له البقاء وحببه لجميع المتلقين ووفر له أسباب الذيوع والانتشار.[١]

الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية في غزل جميل بثينة أو الغزل عموماً، لم يبرز دور الخيال بروزاً واضحاً، لأن العذري لم يكن يعتمد على الصورة الخيالية قدر اعتماده على العبارة الموحية واللفظ الغني بالدلالات الشعورية.[٢]

ومن هنا جاء شعر جميل بثينة عامراً بالدلالات الشعورية والإيحاءات اللفظية والانسياب العاطفي والصدق الفني، أكثر من مجيئه عامر بالصورة الخيالية التي لم يكثروا منها ولم يبعدوا فيها، لكن نظرته الشعرية وعواطفه الصادقة كانت تهديه في كثير من الأحيان إلى صورة تحمل كثيراً من الحس المرهف أو الرقة البالغة أو البصيرة النافذة، وكأنها ومضات تنقدح في خاطر الشاعر ثم تشرق في بيت أو بيتين أو بضعة أبيات ثم يعود الشاعر بعدها إلى مستواه المألوف وصوره التي لا يفتأ قارئ هذا الشعر يصادفها في قصيدة أو أخرى.[٣]

إذا تأملنا تلك الصورة الخيالية بعيداً عن تلك الومضات الشعورية الكاشفة فسوف لن نجد أبعاداً ولا إغراباً وإنما صور مألوفة يمكن أن تقع على مثلها، فكثيراً ما تشبه المحبوبة بالغزالة والبدر والشمس، وكثيراً ما تصور لحاظها بالسهام القاتلة وعيناها بعيني مهاة وعنقها بإبريق الفضة وريقها بالخمر وصدرها بفاثور اللجين، نحو

---

(١) قضية الحب العذري في شعر بني أمية، مرجع سابق، ص١٢٤ – ١٢٥

(٢) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص٣٢٨

(٣) في الشعر الإسلامي والأموي، د. عبد القادر القط، ص١٦٤

قول جميل:

•سَبَتنِي بعَيْنَيْ جُؤذُرٍ وَسْـطَ رَبــربٍ

وصدر كفاثــور اللجيـــــن وجيــد[١]

ولو ذهبنا نبحث عن الصورة المركبة ذات العناصر المتعــددة؛ لوجــدناها تســتمد عناصرها من البيئة البدوية، نجد هذا في شعر جميل وهو يقول:

فمـــا نعجـــة أدْمـــاء ترعـــى مَهَارقـــا

تزجّـــى لهـــا طفـــلاً يـــروح مُرضَـــعا

بأحســـن منهـــا يـــوم قالـــت: لا أرى

جمـــيلاً غـــداً لـــم ينتظـــر أن يُمنَّعـــا[٢]

(١) ديوان جميل، مرجع سابق، ص٦٦

(٢) ديوان جميل، مرجع سابق، ص١٢٥

المبحث الثاني
بنـــاء القصيـــدة

بناء القصيدة في شعر جميل بثينة:

تخلصت القصيدة العذرية أو كادت من المقدمة الطللية التي كـــان يعمـــد إليهـــا الجاهليون وبعض المخضرمين، لأن العذري اتخذ من تجاربه الشعورية، فهي تجارب ذاتية بالغة الصدق.

فكثيراً ما كان العذري يذهب إلى ديار المحبوبة يتنسم عبيرها أو ليرنو إليها من وراء الأكمات والتلال أو ليلتقي بها في غفلة من القوم ونجوة من الرقباء، فيفاجأ بها قد رحلت ويفاجأ بالمكان وقد غدا مقفرا والنؤى وقد تهدمت والآثار قد درســـت، فتهتـــاج خواطره وتفيض أحزانه وتضطرم مشاعره، فينكب على ما بقي من آثار الديار يشبعها لئما ويرويها دموعاً ويلصق صدره بترابها يبرد من حرارته ويهدهد مـــن خـــواطره، ويأخذ عليها ما ليس منها.

ولقد كان جميل أكثر هؤلاء العذريين وقوفاً علـــى ديـــار المحبوبـــة وأحفلهـــم بالحديث عن الأطلال وآثار الديار حتى عد أقرب العذريين إلى الجاهليين في مطـــالع القصيدة. ولكن الذي ينبغي أن نشير إليه هنا أن جميلاً لم يتخـــذ مـــن الحـــديث عـــن الأطلال وسيلة لتذكر الأحبة أو أسلوبا غير مباشر للحديث عن الحب؛ لأنه لم يكن في حاجة إلى من يذكره بالأحبة لأنهم ملء سمعه وجنانه، كما لم يكن من طابعه الالتـــواء والغموض وإنما كان يؤثر الصراحة والوضوح والحديث المباشر عن الـــنفس وعـــن الأحباب، لهذا لا تعد مقدمات جميل مقحمة على التجربة أو تمهيداً لها أو وسيلة لجذب الانتباه وشد الأذهان، وإنما هي جزء من تجربته.[1]

---

(١) ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص١٤٦

وإذا كان جميل أكثر العذريين حديثاً عن الأطلال، فإنه كان أكثرهم تعلقاً بألفاظ الجاهليين في حديثهم عنها، ولهذا جاءت بعض مطالعه حافلة بالغريب على غير ما هو معهود عن العذريين من إيثارهم السلاسة والرقة وعزوفهم عن الوعورة والغرابة، كقوله في مطلع قصيدته القافية:

ألم تسألِ الرّبعَ الخلاءَ فينطقُ،
وهل تخبرنكَ اليومَ بيداءُ سملقُ؟
بمختَلَفِ الأرواحِ، بين سُوَيْقَةٍ
وأحدبَ، كادت بعد عهدكَ تخلقُ

فجميل كاد ينفرد عن زملائه بهذه السمة الفنية التي نزع فيها منزع القدامى في جزالة الأسلوب وإشماله على كثير من الألفاظ العجمية ونظمه في أغراض أخرى غيره كالفخر والهجاء، وإن كنا نجدهما وتبقى الصلة بتجربته، لأن فخره كان يقترن غالباً بالحديث عن الوشاة والرقباء الذين يترصدون له ويريدون بها شراً، فكان يواجه ذلك بالتحدث عن ثباته وإقدامه وجرأته واقتحامه وقدرته على مواجهة الوشاة.

وإذا كان جميل العذري قد أصدر قصائد غزلية نابعة من تجارب عاطفية بالغة الصدق، فإن قصيدته التي توافر لها قدر كبير من الوحدة العضوية وكثير من الصدق الفني والنفسي. وقد اصطلح النقد الحديث على أن الوحدة العضوية تشمل وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي، وإذا كانت قصيدته صادرة عن تجربة شعورية صادقة، فإن ذلك معناه أن وحدة الجو النفسي قد توافرت لها؛ لأنها جاءت استجابة لمشاعر ذاتية وتصوير الانفعال صادق وأحاسيس عميقة خالية من الافتعال والتصنع، وذلك في حقيقته برهان هذه الوحدة الشعورية التي تسيطر على جوانب القصيدة، فلا نرى فيها فتوراً أو بروداً، ولا نلمس فيها تناقضاً في الشعور ولا تلوناً فيه وكيف

يتلونون وهم يخوضون تجربة حب يائس تجر عواقبه[١] كثيراً من القصـــص دون أن يبل أوارهم أو يطفأ لهيبهم الذي استقر في أحشائهم كي يكوي الأكباد والقلوب قبـــل أن يمس الجلود والأطراف.

أما وحدة الموضوع فقد توافرت لها بصورة عامة؛ لأن القصيدة التي تصـــور أحاسيس مجردة وخواطر ذاتية في الحب، وتعبر عن حالات شـــعورية مـــن الشـــوق والحرمان والذكريات والأمنيات، جديرة بأن تترابط أجزاؤها وتتحقق لها وحدة واضحة في جوها العام وفي فكرتها الرئيسية. على أن الحديث عن الوحدة العضوية يختلف من قصيدة لأخرى باختلافها طولاً وقصراً. [٢]

وهكذا فإن قصيدة جميل بثينة غلبت عليها وحدة الموضوع التي تتمثل في فكرة واحدة تدور حولها المقطوعة والوحدة العضوية بجناحيها الموضوعي والنفسي.[٣]

---

(١) قضية الحب العذري في شعر بني أمية، مرجع سابق، ص١٣٢

(٢) قضية الحب العذري في شعر بني أمية، مرجع سابق، ص١٣٢

(٣) ديوان جميل، مرجع سابق، ص٢١٨

مقدمة:

تعد الأخلاق دعامة قوية وأساسا من دعائم بقاء الأمم واستمرارها، وما من أمة سادت إلا وكان للأخلاق فيها شأن عظيم؛ لذا لا غرابة أن تأتي خاتمة الرسالات السماوية المتمثلة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لإتمام مكارم الأخلاق، (والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق).

وإذا كانت الشريعة الإسلامية أتت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فإن من النور الذي أتت به الحث على مكارم الأخلاق والتحذير والتنفير من مساوئها. فأقر الإسلام ما وجد لدى العرب في الجاهلية من أخلاق كريمة، كالوفاء بالعهد والأمانة، والصدق، والكرم والشجاعة...؛ لما لها من أثر في بناء مجتمع مترابط تؤطره تعاليم الكتاب والسنة، وتدله إلى خيري الدنيا والآخرة ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي.

وإذا ما علمنا (أن سقوط الأمم والحضارات كثيرا ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، كما قررها بعض المؤرخين مثل جيبون وابن خلدون) فإن من أسباب بقائها واستمرارها وتطورها هو تتمتع به من أخلاق.

المبحث الأول
القيم الأخلاقية في شعر جميل

١/ وإني لأستحييك حتي كأنما علي بظهر الغيب منك رقيب

وإني لأستحييك: تكمن مكارم الأخلاق في أن الشاعر ذو حياء أمام من يحب وهذه دلالة على حبه العذري، والدليل على ذلك كأن هناك رقيبا يراقبه بظهر الغيب وربما قصد الشاعر بالرقيب الشرع الحنيف الذي يجعل المسلم يراقب ربه في حركاته وسكناته وهذه أخلاق المسام الحق، ونظير هذا البيت ذكره الشريف الرضي عندما قال: عندي رسائل شوق لست أذكرها** لولا الرقيب قد بلغتها فاك. فيقصد بالرقيب الشرع الحنيف

وإني لأستحي: تكمن المكارم هنا في أن الشاعر صاحب حياء لا يفارقه، فالحياء شعبة من شعب الإيمان فهذه قيمة قليلة عند الكثيرين انفرد بها جميل وهذا دليل على أن الشاعر تأثر بتعاليم الدين الأمر الذي جعل كل صفاته التي تميز بها هي ما دعا لها الإسلام وأكد عليها

٢/ حلفت لكي تعلمن أني صادق... وللصدق خير في الأمور وأنجح

حلفت.... تكمن مكارم الأخلاق في هذا البيت في أن الشاعر لا يكذب وهذه هي أخلاق المؤمن الذي لا يكل كما ورد في الحديث فالشاعر يدرك أن الصدق أنجح له بمعنى أن الكذب يهلك صاحبه ويفضح أمره وقد حذر الدين من الكذب في آيات كثيرة وبالمقابل أثنى على الصادقين ووعدهم خيرا على صدقهم، ولعل هذا الأسلوب السلس الذي امتاز به شعر جميل جاء نتيجة للتأثر بالقرآن الكريم

٣/ واذا اردت ولم يخونك كاتم حتي يشيع حديثك الاظهار

ولم يخونك: يتحلى الشاعر في هذا البيت بصفة الوفاء وإنه لا يخون وهذه هي من أعظم مكارم الأخلاق وهي عدم الخيانة.

وكما ورد: أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة، فجميل هنا لا ير ولا يخون وهذا دليل على كمال خلقه ونبله

٤/ أأكرم اصحابي وأبذل ذا يدي وأعرض عن جهل الصديق وأصفح:

أكرم أصحابي: هذا البيت يمثل قمة المكارم وهي صفة الكرم، فجميل هنا جواد كريم يبذل كل ما عنده لأجل أصحابه ونلمح كذلك صفة الإيثار فهو يعطي طل ما عنده ولو كان محتاجا لذلك أما عجز البيت فاحتوى على قيمة أخلاقية حث عليها القرآن ألا وهي الصفح والإعراض عن الجاهلين ويمكن القول أن هذا البيت جاء قمة في مكارم الأخلاق وهي الجمع بين الكرم والصفح

٥/ إني لأحفظ سركم ويسرني لو تعلمين بصالح لو تذكري:

إني لأحفظ سركم: لعل هذه هي قمة مكارم الأخلاق التي تجسدت في الشاعر جميل وهي كتم سر الصديق ولعل هذا ما حث عليه ديننا الحنيف وهو عدم إفشاء السر ومن ناحية أخرى حث الدين على ستر الآخرين وعدم إفشاء أسرارهم وكما جاء في الحديث من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث الذي تطرقنا فيه إلى قضية الحب العذري الذي يمثل بالنسبة للناس واقع معيش في حياتنا اليومية وفي حياة كل فرد من ذكر وأنثى والحب العفيف هو الذي يجب أن نهتم به ونزرعه في قلوب أطفالنا وفلذات أكبادنا.

وأخيراً في الحديث عن الشاعر جميل بثينة نجده أحد أهم رواد الحف العفيف وذلك لامتيازه بصفات ليس موجودة في غيره من أهمها: صدق الحب وعفته التي جذبتني لكي أكتب عنه ويجب علينا في نهاية هذا البحث أن نهتم بهؤلاء الشعراء الذين يمثلون بداية تأسيس الشعر القوي الرصين.

النتائج:

١. يعتبر جميل بثينة هو أحد رواد الغزل العذري في العصر الأموي.

٢. لم يكن شعراء الغزل العذري كشعراء الغزل الفاحش الذي يتنقلون بين النساء.

٣. حض شعر جميل بالعديد من القيم الأخلاقية كالصبر والمسامحة والصفح.

التوصيات:

١-أوصي أولا بالاهتمام بهذا الفن الرقيق الرائع الشفاف الغزل العذري.

٢-أوصي بالاهتمام بهذا الشاعر المتألق جميل بثينة.

٣-أوصي بالاهتمام بالمواهب الشعرية واحتضانها.

٤-أوصي بدراسة ما هو سابق للتحديث فيما هو حاضر ومستقبلا.

٥-أوصي بأن لا نهمل الجانب الحسي المرهف وان نتعامل معه على حسب شفافيته.

المصادر والمراجع

١-تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ط٢، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.

٢-الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٣-مجموعة أعلام الشعراء، عباس محمود العقاد، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م.

٤-ديوان جميل بثينة، دار صادر بيروت، ١٩٦٦م.

٥-ديوان الصبابة، تأليف شهاب الدين بن أحمد.

٦-وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان، ج٥، تحقيق إحسان عباس.

٧-الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل ابن أبيك الصرفي، ج٥، ط٢، دار في ايز، ١٤١١هـ.

٨-سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ج٥، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.

٩-العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٥.

١٠- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٥م.

١١- سير أعلام النبلاء، تصنيف محمد بن احمد الذهبي، تحقيق: محمد اسعد أطلس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م.

١٢- تاريخ الإسلام، عصر الاتساق تاريخ بني أمية، تأليف: محمد أسعد أطلس، بيروت، دار الأندلس، ١٩٥٨م.

١٣- الشعر في العصر الأموي، د. غازي طليمت، أ. عرفات الأشقر ٤، ٨١١، ط١، نشر دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٨م.

١٤- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج١، ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.
١٥- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز أبادي، ج١، دار الحديث، القاهرة.
١٦- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادي، ج٣.
١٧- تاريخ الأدب العربي، لشوقي ضيف، ج٢.
١٨- لسان العرب لابن منظور، ج١، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٩- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى بن الزبيدي، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.
٢٠- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، ج١، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م.
٢١- شرح ديوان جميل بثينة، شرحه وعدله مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢٢- الشعراء العشاق، دراسة أدبية حول شعراء الغزل وآثارهم، أنور تامر، ط١، بيروت، منشورات، ١٩٦٦م.
٢٣- لسان العرب لابن منظور، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م.
٢٤- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج٢، ط٢، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٢م.
٢٥- العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني، تصيح محمد بدر الدين النعساني، ج٢، ط١، القاهرة، محمد أمين الخانجي، ١٩٠٧م.
٢٦- تاريخ الشعر العربي، تأليف محمد عبد العزيز الكفراوي، القاهرة، دار النهضة، مصر، ١٩٦٤م.
٢٧- روضة المحبين، لابن القيم الجوزية، ط١، بيروت، دار بن حزم، ٢٠٠٣م.

٢٨- الغزل العذري في العصر الأموي، للدكتور حسن عبد القادر مصطفى وما بعدهما وتطور الغزل بين الجاهلية والإسلام شكري فيصل.
٢٩- قضية الحب العذري في شعر بني أمية، تأليف الدكتور العربي حسن درويش، كلية التربية، جامعة عين شمس، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن محمود وأولاده شارع٩ عربي باشا، القاهرة.
٣٠- في الشعر الإسلامي والأموي، للدكتور عبد القادر القط.

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر	ج
مستخلص البحث	د
Abstract	هـ
المقدمة	و
الفصل الأول **عصر الشاعر وحياته**	
المبحث الأول: المولد والنشأة والوفاة	١
المبحث الثاني: الحياة السياسية	٩
المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والأدبية	١٩
الفصل الثاني **الأغراض التي طرقها الشاعر جميل**	
المبحث الأول: الغزل تعريفه وأنواعه	٣٤
المبحث الثاني: أغراض شعر جميل	٤٧
المبحث الثالث: الغزل عند الشاعر جميل	٥٠

الفصل الثالث السمات الفنية في غزل جميل بثينة	
المبحث الأول: اللغة والأسلوب	٥٦
المبحث الثاني: بناء القصيدة	٦٣
الفصل الرابع مكارم الأخلاق	
مقدمة	٦٦
المبحث الأول: القيم الأخلاقية في شعر جميل	٦٧
الخاتمة	٦٩
النتائج	٧٠
التوصيات	٧١
المصادر والمراجع	٧٢
فهرس المحتويات	٧٥